محمود بن عثمان الرحبي

(كان حياً سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٩م)

بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان

تحقيق: د. عماد عبد السلام رؤوف



بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان

الكتاب: **بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان**

الكاتب: **محمود بن عثمان الرحبي**

الطبعة الأولى: 2015

الناشر: دار الزمان
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - سوريا: ص.ب 5292
تلفاكس: 00963 11 5626009
موبايل: 00963 932 806808

E-mail: zeman005@yahoo.com
E-mail: zeman005@hotmial.com
Website: www.darzaman.net

الناشر: مكتب التفسير
للنشر والإعلان

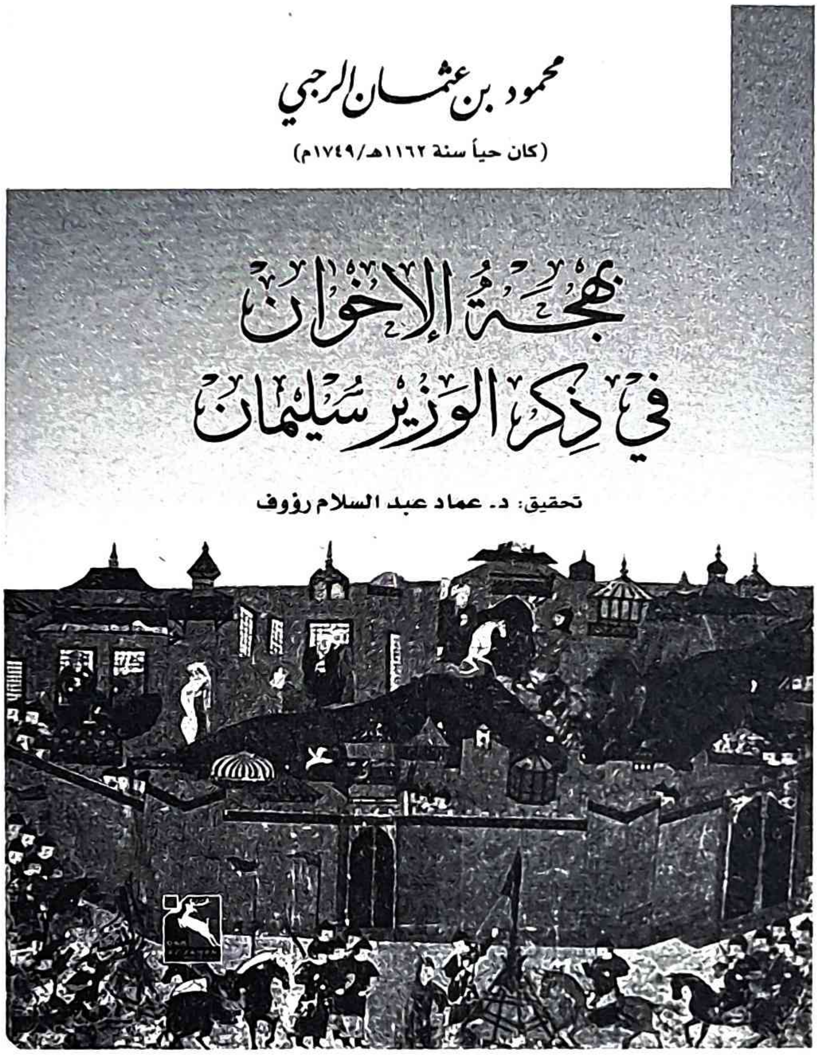
اربيل - شارع المحاكم - تحت بناية فندق شيرين بالاص

هاتف: 2221695 -2230908 - 2518138
موبايل: 07504605122 - 07701387291
E.mail: tafseeroffice@yahoo.com
E.mail: altafseero@hotmail.com
E.mail: tafsseroffice@maktoob.com
web site: www.al-tafseer.com

التنضيد والإخراج: دار الزمان

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح

محمود بن عثمان الرجبي



بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

موضوع هذا الكتاب

يمثل عهد سليمان باشا، المعروف بأبي ليلة، وسَلَفيه حسن باشا وابنه أحمد باشا، بداية لمرحلة مهمة من تاريخ العراق في العصر العثماني، وهي ما عُرف بعهد حكومة المماليك.

وكان ظهور المماليك في العراق، جزءاً من ظاهرة عامة انطبعت آثارها عى معظم أرجاء الدولة العثمانية. فقد أدى الفراغ الناجم عن ضعف السلطة المركزية، والانحسار الفعلي للوجود العثماني من أقاليمها العديدة، إلى ضرورة قيام سلطات محلية قوية تمكنت من ملء الفراغ الناشئ عن ذلك الانحسار، وهكذا نشأت في أقاليم مختلفة من الدولة، حكومات محلية، واءمت- بدرجات متفاوتة- بين استقلالها الإداري والعسكري الفعلي، وبين وجودها ضمن السيادة العثمانية الرسمية، مثل المَعَنيين في لبنان، وآل العظم في دمشق، وآل القره مانلى في طرابلس الغرب، وحكومة علي بك الكبير في مصر[1].

أما العراق، الذي عانى من التدهور السياسي والعسكري، منذ الاحتلال المغولي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر للميلاد)، فإن عدم وجود حكومة عثمانية مركزية قوية قادرة على ممارسة سلطتها فيه، وازدياد نفوذ القبائل البدوية والريفية وتسلطها على المدن، قد أدى إلى تعرضه إلى أخطار حقيقية، كان يمكن أن تغير وضعه السياسي برمته[2].

---

(1) أنظر: Creasy, E.: History of the Ottoman Turks,Beirut 1961 p. 246.

(2) في سنة 1035هـ/ 1625م استطاع كاتب جند البصرة آفرسياب أن يتولى مقاليد الحكم في ولايته بعد أن اتفق رأى أهل البصرة على هجر الحاكم العثماني، وأعلن آفرسياب استقلاله عن السلطة المركزية العثمانية، ملقبا نفسه بأمير البصرة، وتمكن من توسيع حدود إمارته بسرعة، وأسس أسرة حاكمة تولت الحكم من بعده حتى سقوطها على يد العثمانيين سنة1079هـ/1668م. وفي عام 1033هـ/1623م أعلن بكر صوباشى، أحد قادة الينكجرية (الانكشارية) ببغداد، عصيانه على السلطات العثمانية، وحاول أن يستفيد من الشاه الصفوى للضغط على العثمانيين، إلا أن

ولم يكن في العراق، إبان القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (السادس عشر والسابع عشر للميلاد)، وحتى قيام حكم المماليك في بغداد، أي نوع من الوحدة المركزية لأراضيه، فعلى الرغم من تقسيم السلطان سليمان القانوني للبلاد إلى عدد من الوحدات المستقلة المتوازنة، فأن هذه الوحدات- نفسها- فقدت من الناحية الفعلية وحدتها الداخلية، إذ تمتعت كل مدينة فيها بحكومتها الوراثية وباستقلالها المحلي، بل امتدت هذه الظاهرة لتشمل أصغر المدن والقرى. وكانت القبائل القوية العديدة في البوادي والأرياف تمثل عقبة كأداء إزاء المحاولات الرامية لفرض نوع من الوحدة المركزية، فلقد شكلت هذه القبائل اتحادات قبلية استطاعت أن تفرض سيطرتها على المدن الواقعة في منطقة نفوذها، في حين كانت تمثل- بالنسبة للمدن الأخرى- خطراً دائماً، من شأنه قطع طرق اتصالاتها، وإنهاك قواها السياسية والعسكرية.

وكانت هذه الأوضاع تشكل مبرراً قوياً لقيام نظام حكم أكثر تماسكاً من الأنظمة المحلية السائدة، يعتمد على قواه الذاتية في رد الخطر الخارجي، وفي قمع الثورات القبلية المتكررة، وفك قبضة القبائل عن المدن والأرياف. ولم تكن حكومة المماليك، في أول الأمر، إلاّ وريثة لإحدى حكومات المدن التي شهدها العراق في مطلع الثاني عشر للهجرة (القرن الثامن عشر للميلاد)، بيد أن ثقل بغداد الحضاري القديم، ومركزها المتوسط في البلاد، منح الحكومة المحلية سلطات مركزية غير عادية، فمدَّت نفوذها إلى ولاية شهرزور المجاورة لها، ثم أخضعت أمراء بهدينان في كردستان إليها، وضمَّت ماردين في أقصى الشمال الغربي، ضمّاً رسمياً فأصبحت (متسلمية) تدار من والي بغداد مباشرة. وشرعت تفرض تأثيرها السياسي على الموصل، آخر ولاية مستقلة من ولايات العراق، حتى غدت هذه الولاية- منذ القرن الثالث عشر (القرن التاسع عشر الميلادي)- دائرة في فلك ولاية بغداد، وتابعة لها في أكثر الأمور العامة.

محاولته هذه فشلت، ودخل الشاه بغداد فاتحاً، فبدأت بذلك فترة الاحتلال الإيراني الثاني، الذي استمر حتى استرجاع مراد الرابع لبغداد سنة 1048هـ/1648م. وفضلا عن هاتين المحاولتين الانفصاليتين البارزتين، فقد كانت هناك محاولات مستمرة في أنحاء العراق لاقامة سلطات محلية لا تعترف بالسيادة العثمانية إلا بالاسم.

وقف المماليك[1] على رأس الهرم الاجتماعي في منطقة واسعة من العراق، في مقدمتها بغداد نفسها، ففي أيديهم القوة العسكرية، والإدارة والحكم، وبمعنى آخر جهاز الحكومة كله. وبما أن هذا الجهاز مستندٌ في طبيعته إلى قاعدة اقتصادية، تتمثل فيها نشاطات مختلفة، زراعية وتجارية وحرفية، فأن وضع أولئك المماليك الطبقي غير محدد تماماً، فهم أكبر من أن يُعدُون فئة، وأقل من أن يكوّنوا طبقة، بمفهومها الاقتصادي، منفصلة عن سائر طبقات المجتمعات في البلاد.

ويمكن القول بأن انفصال المماليك عن أهل البلاد، لم يكن- في أحيان كثيرة- انفصالاً طبقياً يرجع إلى أسس اقتصادية، وإنما كان انفصالا تشترك في تكوينه عوامل اجتماعية أخرى متعددة، أهمها تحدّرهم من عرق واحد غريب عن أهل البلاد، وحتى هذا العامل لم يكن دائماً حاجزا يمنع امتزاجهم بجمهور السكان، فأنهم سرعان ما ارتبطوا بعدد من الأسر المحلية بعلاقات المصاهرة ومن ثم الإرث. حقيقة أن علاقاتهم الجديدة لم يُفسح لها المجال الكافي لإفقادهم صفتهم المشتركة، كجماعة متضامنة، لها عصبيتها العنصرية الخاصة، إلا أنها ذوّبت كثيرا من الفوارق التي كانت تفصلهم عن الطبقات العليا من المجتمع. وعلى هذا النحو أخذ مماليك العراق يتحولون تدريجياً من كونهم فئة بيروقراطية بحتة، منعزلة عن السكان، إلى قسم من أبرز أقسام الأرستقراطية الإقطاعية في البلاد.

وينتمي المماليك عنصرياً إلى منطقة تفليس التابعة لبلاد الكُرج (جيورجيا)، فهم بذلك من الجنس القوقازي الذي طالما كان مصدراً لا ينضب لتجارة الرقيق الأبيض. وقد عُرف المماليك القوقازيون في الأناضول منذ عهود قديمة، كما أنهم أسسوا في مصر السلالات الشهيرة التي أزالها السلطان سليم الأول عن الحكم سنة 1517م، واستعادت عزتها على عهد خلفائه من بعده، وقد ظهروا في مختلف الأزمنة في سرايا استانبول وغيرها من المدن الأخرى. ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى التساهل الملحوظ الذي تميزت به أحوال الرّق في البلاد الإسلامية عن غيرها

---

(1) يعرف المماليك في التاريخ العثماني باسم (كُوله مَنْد) وهي كلمة تركية تعني الأرقاء، لا سيما البيض منهم.

من بلاد العالم، وإذ لم يكن للنبل والمنصب صفة وراثية في فلسفة الحكم العثماني، فأنه لم يكن مستغرباً أن يرقى الكثير من أحط دركات الخمول إلى أرفع المناصب، وكان جميع المسلمين، بما فيهم المماليك، متساوين بين يدي السلطان[1].

كان استخدام المماليك في حكم البلاد، منسجماً تماماً مع روح الدولة العثمانية وفلسفتها، إذ لم يكن جهاز الدولة نفسه في عهد قوته وعزته إلاّ جهازا كاملاً من المماليك، منهم يتم اختيار قوات الجيش النظامي (اليَنكجَريّة = الانكشارية)، ومنهم من كان يتولى أخطر المناصب السياسية والعسكرية في الدولة[2]. وكانت فكرة إصلاح هذا النظام، وإعادة الحيوية إليه، ما تزال تراود الكثير من المصلحين كوسيلة وحيدة في تقوية ساعد الدولة وإيقاف تدهورها العسكري المستمر.

ولا ريب في أن أفكاراً كهذه كانت تبحث عن تطبيق مناسب عندما تولى حسن باشا من اشهر ولاة العراق العثمانيين، مقاليد الحكم في ولاية بغداد عام 1116هـ/1704م ذلك أن قوات الينكجرية التقليدية كانت قد فسدت في ذلك العهد فساداً خطيراً أخذ يهدد البلاد بالسقوط عند أي غزو إيراني محتمل، فضلا عن أن هذا النظام أصبح عبئاً ثقيلاً على كاهل الولاة المتعاقبين ببطئه وضعفه، فقد توقف إرسال جند ينكجرية جدد إلى الولايات إلا في حالات قليلة، وكثرت ثورات الجند في ثُكنات المدن وزاد شغبهم على الولاة أنفسهم. ومن الناحية أخرى فأن حالة الفرسان الإقطاعيين (السِّباهية) لم تكن أحسن من ذلك كثيراً، فقد تهرّب معظمهم عن تقديم ما يتوجب عليهم من جند ومال، وأخذ نظام (التيمار) وهو الإقطاع العسكري العثماني يتحول إلى نظام للملكية الزراعية ليس إلا[3]، وفي سنة 1017هـ/1608م شهدت بغداد أول ثورة محلية يقودها رئيس كتيبة خيالة

---

(1) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة 1971 ج1 ص120.

(2) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت 1925 ص150-151 ومحمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق والعربي، القاهرة ص76-77.

(3) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ج1 ص266- 268.

(بلوك باشي)[1]، ولم تمض إلاّ سنوات معدودات حتى أعلن اغا الانكشارية فيها عصيانه على الدولة، مؤدياً ذلك إلى سقوط المدينة بيد الايرانيين المتربصين بها[2]. ثم زادت حوادث العصيان والثورات المحلية، فأطمع ذلك القبائل العربية وغيرها بالانتقاض على سيادة المدن، وشكلت أعمالها العسكرية خطرا يهدد المراكز المدينة في العراق، ويقطع سُبل مواصلاتها[3].

وهكذا، فقد بدا واضحاً للدولة، أن وضعاً رخواً كهذا يمكن أن يؤدي في أي وقت إلى كارثة تودي بالبلاد برمَّتها. وكان على الولاة الذين يتولون منصبهم ببغداد أن يوجدوا القوة التي يمكن بها السيطرة على الأوضاع المتأزمة. ومن هنا نشأت الحاجة إلى إيجاد فئة بيروقراطية عسكرية جديدة، تحل محل القوى التقليدية، من فرسان سباهية، ومشاة ينكجرية، وتخفف من اعتماد حكومة الولاية على قوى القبائل القوية المجاورة.

ولم يكن أمام حسن باشا من سبيل إلى تكوين جيش نظامي مخلص له، يحقق به أهدافه في إيران وفي العراق، سوى أن يتبع ما سبق للدولة العثمانية أن اتبعته في أول نشأتها، وهو أن يستخدم قوة مرتزقة من غير سكان البلاد تكون الإدارة المنفذة لأوامره، فيستطيع أن يستخدمها بحُريّة، وفي الأزمات التي قد تمر بالبلاد، وخاصة في أثناء عصيان فرق الينكجرية، محاولا من وراء ذلك وضع حدٍ لتحكم تلك الفرق بالولاة والدولة[4].

وكانت حياة حسن باشا الأولى، ونشأته في السراي العثماني بالعاصمة القسطنطينية[5] قد مكنته من دراسة النظم العثمانية الخاصة بتدريب الجند

---

(1) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا، النجف 1971 ص212 واحمد بن عبد الله الغرابي: عيون أخبار الأعيان: ورقة 91 (نسخة باريس) وياسين العمري: الدر المكنون: ص464 (نسخة المتحف البريطاني).

(2) كلشن خلفا ص212– 222. وكاتب جلبي: تقويم التواريخ ص138–144.

(3) سليمان فائق بك: تاريخ المماليك الكوله مند، ترجمة نجيب أرمنازي، بغداد 1961 ص14.

(4) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6 ، بغداد 1955، ص4.

(5) كان ابوه سباهيا (فارساً اقطاعياً) في (قترين) من (الروم ايلي)، ونشأ هو في سراي السلطان بالعاصمة، وتولى عدة مناصب أولها كان تعينيه بمنصب (جيفرجي باشي) فلبث يشغله ست

والقواد والموظفين، وملاحظة مراحل إعداد مماليك السلطان، وتهيأتهم لتولي أعلا مناصب الدولة، وعلى ضوء هذه الدراسة أنشأ حسن باشا في بغداد نظاماً على غرار النظام الداخلي لسراي السلطان، فاشترى عدداً كبيراً من المماليك من تفليس وعشائر القوقاز كوّن منهم فرقاً وجماعات، وكانت كل جماعة تقيم في ثكنة مخصصة لها، ولكل فرقة أسم مثل فرقة (الخاص) و ووكلاء الخزينة.

ولم يكن عمل حسن باشا هذا مرتجلاً بأية حال، فقد أدرك بأن تكوين مثل هذا النظام يستلزم أولا إرساء قيم خاصة. وتربية معينة، لم تكن البلاد عرفتها من قبل، لذلك فإنه اتجه إلى إنشاء المدارس الخاصة في بغداد، وضم إليها ما استطاع شراءه من الأطفال المماليك المشترين من الخارج[1]. وتكشف سيرة سليمان باشا من مماليك ابنه أحمد باشا، عن نوع ما كان يتلقاه ضباط المماليك من تربية وتعليم وتدريب في ذلك العهد. قال محمد سعيد السويدي «فربّاه تربية حسنة، وأدّبه تأديباً مُستحسناً، ورَتَّب وعَيَّن له معلماً لقراءة العربية وكتابتها، ومثل ذلك للفارسية والتركية، وكذلك عَمَله لكل مماليكه، فمَن لم يتعلم منهم فمن عدم التوفيق، فتعلم المترجَم الخط تَركيَّهُ وعربيَّه على قدر الحاجة الضرورية، وقرأ القرآن وجَوَّده، وبعض رسائل الفقه، واعتنى كثيراً بركوب الخيل، وتعلم صنائع الفروسية، فصار واحدَ زمانه، وفريد أوانه»[2]، وقال في ترجمة الوالي عمر باشا، وقد نشأ مملوكاً أيضاً، أن أحمد باشا حينما اشتراه صغيراً «علمه القرآن وتجويده، وقراءة الدلائل[3] والأوراد، وكتابة العربية والتركية على قدر الحاجة، وأنواع علوم الفروسية»[4].

سنين، ثم ضم إليه منصب (امارة العلم)، ثم جعله السلطان مصطفى الثاني رئيسا للبوابين (وهو منصب رفيع)، وتولى بعد ذلك ولاية قونيه، فحلب ثم الرها، وآمد. ثم بغداد. انظر: عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد 2003، ص43-66.

(1) تاريخ جودت ج1 ص377 ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت، وسليمان فائق: تاريخ المماليك الكوله مند ص24-25.

(2) ورود حديقة الوزراء الورقة 2.

(3) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار للشيخ محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 854هـ/1450م.

(4) ورود حديقة الوزراء الورقة 20.

ويبدو لنا أن حسن باشا لم يكن ينوي أن يخلق من أولئك الأرقاء طبقة حاكمة وحيدة في البلاد، تنفرد بشؤون السياسة والإدارة وحدها، وتعلو على النظام الاجتماعي السائد. كما حدث في تجارب أخرى في مصر من قبل. وفي الدولة العثمانية ذاتها، وإنما كان يهدف- بالدرجة الأولى- إلى إيجاد عناصر عسكرية مثقفة، يمكنه الاعتماد عليها في أمور الحرب وفي أمور السلم معاً، دون أن تشكل تلك العناصر احتكارا للحكم نفسه. ويبدو أن إدراكه لمغبَّة الاحتمال الأخير وما ينجم عنه من نواح سَلبية سبق أن عانت منها تجارب مماثلة سابقة، دفعه إلى اتخاذ خطوة جديدة هامة، هي فتح مدارس المماليك وثكناتهم أمام عدد من أبناء الأسر الكبيرة من أهل البلاد، ليدخلوا فيها أبناءهم[1] وليتلقوا فيها من التربية العسكرية والتدريب على شؤون الإدارة، ما يؤهلهم لتولي المناصب المهمة، كالمماليك سواء بسواء، وبهذا فقد أدخل الوالي الحصيف، لأول مرة، تجربة جديدة لم يلتفت إلى أهميتها حاكم سابق. ترتكز على محاولة إشراك العناصر العليا من أهل البلاد في الإدارة والحكم[2].

وليست ثمة معلومات محددة عن تلك الأسر التي أدخلت أبناءها في مدارس المماليك، كما لا تقدم لنا المصادر شيئاً عن أصولها الاجتماعية والطبقات التي تمثلها، ويكتفي سليمان فائق بك، مؤرخ المماليك، بالإشارة إلى أنهم كانوا من «أولاد الكُبَراء»[3] وهو وصف عام يشمل فئات عديدة من أهل البلاد، ولكنة يدل

---

(1) تاريخ المماليك الكوله مند ص25.

(2) ويلاحظ في هذا الصدد أن المماليك في مصر حكموا البلاد دائما بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، استأثروا بالحكم وبشؤون الحرب، ونظروا إلى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة أو درجات. وكانت تربيتهم تعتمد على فصلهم التام عن سائر طبقات المجتمع، بل وفصل كل طائفة منهم من غيرها من طوائف المملوكين، وكان لكل منها موضع خاص تقيم فيه وتنسب إليه، كالمماليك البحرية والمماليك البرجية، وقد دأبت حكومة المماليك دائما على تحذير الناس من انتقال مملوك من المماليك عن طريق البيع إلى أحد من غيرهم ، وبذلك لم يكن لأهل البلاد أي نصيب في إدارة شؤون بلادهم، مما أحدث فجوة كبيرة بين طبقة المماليك من جهة وسائر طبقات المجتمع المصري من جهة أخرى، وهذا ما حاول حسن باشا تلافيه في تجربته المذكورة في العراق. انظر للمقارنة بين نشأة النظامين: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص308- 311.

(3) تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد ص25.

على أن أولئك المنضمين إلى نظامه الجديد لم يكونوا- بأية حال- من طبقة العامة، بما تشمله من حرفيين وصناع ومتكسبين وغيرهم من أصحاب الدرجات الدنيا والمتوسطة في السلم الاجتماعي، وهي الفئات التي طالما تمكنت من قبل من النفاذ إلى داخل النظام العسكري السابق الذي تمثله أورطات الينكجرية المقيمة في بغداد وسائر أنحاء المدن العراقية، وكانوا في أحيان كثيرة سبباً في فقدانها ضبطها العسكري، وتحولها إلى شبه قوات غير نظامية[1].

ومن المرجح أن أولئك (الكُبراء) لم يكونوا إلاّ من الأسر المحلية المدينة، التي احتفظت بثرواتها على شكل ملكيات زراعية كبيرة، فأن اطلاق هذا التعبير كان يقصد به بوجه عام- طبقة الأرستقراطية الإقطاعية، دون أن ينسحب ذلك إلى طبقة كبار التجار من سكان المدن. ومن المهم أن نذكر أن نفوذ هذه الطبقة الأخيرة ببغداد لم يكن قد نما في عهد تأسيس النظام في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (أوائل القرن الثامن عشر للميلاد) إلى الحد الذي يمكنها من فرض وجودها طبقة قوية بين طبقات المجتمع البغدادي كما فعلت أختها في الموصل حين تشكل نظام حكومة آل الجليلي في التاريخ نفسه.

وتشبه طرق إعداد المماليك، التي سنَّها حسن باشا واستمرت من بعده، ما كان متبعاً في مدارس البلاط العثماني إلى حد كبير، فأسماء الجماعات التي ينقسمون إليها مماثلة لتلك التي أسسها السلاطين العثمانيون الأوائل في عاصمة الدولة. وكان المماليك الصغار من نصارى الكُرج، فضلاً عن صبيان المسلمين، يرسلون بعد وصولهم سن معينة، إلى مدارس خاصة أنشئت ضمن مباني سراي بغداد، أعدت لتدريبهم وتنشئتهم، ولم يكن عددهم في كل دفعة يقل عن مائتي مملوك[2]. وكان لكل مجموعة منهم مؤدبون من المماليك السابقين، يعرفون باسم (لا لا)[3] وهو نفس الاسم الذي يطلق على أمثالهم في القسطنطينية[4]. وهم

---

(1) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب ج1 ص275.

(2) سليمان فائق، تاريخ المماليك الكوله مند ص65.

(3) نيبور، كارستن: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود الأمين، بغداد 1965، ص68.

(4) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب ج1 ص117.

مُلزمون بتأديبهم وتعليمهم القراءة والكتابة، وركوب الخيل، والفنون الحربية، ويؤمرون بتحصيل آداب الخدمة[1]، وفضلا عن ذلك فأنهم يتلقون دراسة دينية منتظمة على أيدي طائفة مختارة من علماء البلاد فيلقنون الإسلام، ويتعلمون شيئاً من علومه. وقد يتاح لبعض المماليك الاستمرار في الدراسة وطلب العلم، فيدرس شيئاً من علوم القرآن، والتصوف والعقائد والفقه وأصوله والنحو والصرف والمناظرة وغير ذلك[2]، فقد ظهر منهم من عرف بسعة ثقافته، وكان لأمثال هؤلاء دور بارز في تشجيع الحركة الثقافية في البلاد.

وينضوي المماليك، بعد إتمامهم لدراستهم وتدريبهم، إلى صفوف أغوات الداخل (إيج آغاسي)، حيث يكونون تحت إمرة (الخَزْنَه دار) في حالة السلم، وتحت قيادة السلحدار (حامل السيف) في أثناء الحروب، وهو نظام يشبه مثيله في القسطنطينية بدرجة كبيرة[3].

ويؤلف المماليك الحرس الخاص بالباشا نفسه، وعددهم زهاء مائة كُرجي[4]، فاذا خرج الباشا راكباً ساروا خلفه على أجمل هيئة وأفرَه خيل، ولكل منهم سائس يسوس فرسه، ولا يُرسِل أغوات الداخل من المماليك لِحاهم، لكنهم إذا ما بلغوا الرتب العالية، فأنهم يسمون (صقاللى آغاسي) ويستطيعون حينئذ أن يُرسِلوا لحاهم إلى أحناكهم[5].

وقد استمرت مدارس المماليك مفتوحة لاستقبال دفعات جديدة من صبيان الكُرج على القواعد مارة الذكر، مدة حكم حسن باشا وابنه أحمد باشا[6]، أي زهاء

---

(1) تاريخ المماليك الكوله مند ص25.

(2) من الذين أتيحت لهم هذه المعرفة الواسعة، داود باشا، آخر المماليك في العراق. أنظر قائمة العلوم التي درسها، ومشايخه العديدين فيها، عثمان بن سند البصري: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، بتحقيقنا، ط2، بيروت 2010، ص 535-570.

(3) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب ج1 ص117.

(4) Fraser, J.B.: Travels in Koordistan, Mesopotamia. London 1840 . Vol. 1, p. 245.

(5) رحلة نيبور ص115.

(6) فائق: تاريخ المماليك الكولة مند ص25 و Islam Ansiklopedisi, Istanbul 1945. Baghdad, by M. Cavid Baysun, Vol. 2, p. 208.

نصف قرن تقريباً. وليست لدينا معلومات بشأن عدد من تخرّجوا من هذه المدارس، وعن وضعهم الاجتماعي عند توليهم مناصبهم[1]، كما ليس ثمة ما يوضح علاقتهم بمماليكهم بعد ترقيتهم في وظائفهم الجديدة[2]، خاصة وأن من بينهم من لم يكن مملوكاً قط، من أبناء الطبقة العليا في البلاد. وأغلب الظن أن أمر تملكهم لم يكن إلا أمراً من الوجهة الفنية فقط[3]، وأنهم أقرب لأن يكونوا ملك النظام من أن يكونوا ملكاً شخصياً لوالٍ بشخصه.

ورغم طول فترة حكم الواليين المذكورين، فأن أولئك المماليك لبثوا عند حدود وضعهم الذي خطط له، بمعنى أنهم نجحوا في أن يكونوا الفئة الأكثر قوة وفعالية في حكومة ولاية بغداد وتوابعها وجيشها، دون أن يؤدي ذلك إلى استحواذهم على مقاليد الحكومة نفسها. ومن الواضح أن أحداً منهم لم تكن له موارد خاصة باستثناء ما كانوا يتسلمونه من رواتب من خزانة الولاية. ولم تعرف بينهم أسماء لامعة، رغم أنهم كانوا- في الواقع- يؤلفون نخبة جيش الولاية وأحسن عناصره. وقد بقوا على ولائهم التام بحيث لم يُسمع أنهم قاموا بأي تمرد أو عصيان خلال تلك المدة الطويلة من الزمن، التي حكم فيها حسن باشا وأحمد باشا[4].

وتكشف حروب حسن باشا الناجحة في إيران، وفتحه العديد من المدن والنواحي هناك، وخوضه لأكثر من معركة في ظروف قاسية، وفي أماكن نائية عن بلاده، عن مدى صلابة جهازه المملوكي الجديد وعن صدق إخلاصه لقيادته[5].

---

(1) يثير لونكريك عدة تساؤلات بشأن عدد هذه المدارس، ومدى اختصاصها بالمماليك. انظر أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط4، بغداد 1968 ص198-199

(2) يقدم آيفز بعض الأيضاحات بشأن هذه النقطة، فهو يشير إلى ضوروة تمسك المملوك باحترام سيده، والوقوف بحضرته، حتى ولو بلغ منصباً أرقى من منصب سيده (إذ لا يمكن مطلقا أن يصبح غافلا عن وضعه الأصلي) ويذكر أن مملوكا لرجل كان يشتغل بصناعة الأزر في البصرة، أصبح حاكما لهذه المدينة، لكنه بقى حريصاً على احترام سيده القديم الذي كان لا يزال يمارس هذه الحرفة.

Ives, E.: A Voyage from England to India, London 1760 p. 57.

(3) جب وبوون: المجتمع الإسلامي والغرب ج1 ص119.

(4) Dupre, A.: Voyage en Perse, Paris 1819, Op. Cit., 11, p. 142.

(5) مرتضى نظمي زاده: كلشن خلفا ص330، ورسول الكركوكلي: دوحة الوزراء ص26، والسويدي: حديقة الزوراء ص282-251.

وفي عهد أحمد باشا، استطاع المماليك أن يبرهنوا لمولاهم أهميتهم أثناء محاولات السلطات لعزله من بغداد، ولا شك في أن وجودهم كان من العوامل القوية التي أحبطت تلك المحاولات. ووصف محمود بن عثمان الرحبي، في هذا المخطوط الذي نقوم بنشره الآن، رجال جيشه بأنهم رجال «توزن آحادهم بالآف، وأفرادهم بأضعاف، يَرَون الملاحم ولائم، والوقائع نقائع، وصفوف الغراب عرائسٍ، وصنوف الكماة فرائس، ربَّتهم الحروب في حجورها»[1].

تسلم أحمد باشا موقعه قائداً عاماً للجبهة الإيرانية الممتدة من نواحي قارص في شرق الأناضول حتى البصرة في جنوبي العراق، وعهدت إليه مهمة أكمال ما بدأ به أبوه في التوسع في ايران ليشمل مساحات واسعة من غربها، ثم التقدم لفتح همدان، ومرة أخرى أثبت المماليك، فضلاً عن قوات عراقية أخرى، قدرتهم على خوض غمار معارك عديدة، وفي الظروف الصعبة، وعلى تحقيق انتصارات باهرة، واضطرار الشاه الصفوي إلى قبول فكرة الصلح. وكان ظهور نادر، القائد الطموح، من صفوف جيش الشاه، ليرتقي المناصب العسكرية، حتى يصبح القائد الفعلي لما تبقى من دولة الصفويين، مؤذناً بتغيرات خطيرة في موازين القوى في المنطقة، فقد استطاع هذا القائد أن يعيد تحشيد القوات الإيرانية من جديد، وأن يشن عدداً من التعرضات الناجحة ضد القوات العثمانية، فينتزع جميع ما جرى الاستيلاء عليه من هذه القوات، بل والدخول في الأراضي العراقية ومحاصرة المدن العراقية، وفي مقدمتها بغداد. وعلى الرغم من إرسال الدولة العثمانية جيشاً لإسناد الجبهة، بقيادة أحد قادتها المُحنَّكين، هو طُوبال عثمان باشا، وتخليص بغداد من حصار إيراني قاس، إلا أن نادرشاه تمكن من دحره، والمضي في حصار بغداد وتدمير القرى التي حولها.

أعاد أحمد باشا تحشيد قواه العسكرية في بغداد، بعد أن جرى سحبها من مواقعها المتقدمة، واستعد لحصار طويل، وقد أظهر في ظل هذه الظروف الصعبة ميزات قيادية مهمة، أهمها قدرته الفائقة على تحقيق مبدأ الاقتصاد في القوى، وتأكيد دوره قائداً في رفع الروح المعنوية للجيش، واشاعة روح التفاؤل والأمل لدى

---

(1) الورقة 40 .

الشعب، فضلاً عن جهد دبلوماسي هدفه كسب الوقت لحين وصول امدادات جديدة، أو انتظار ما يمكن أن تأتي به الأحداث من إيران نفسها.

ولما لم تحقق هذه الأعمال العسكرية أياً من أهدافها، فقد فضل نادرشاه الإنسحاب، بينما حقق أحمد باشا والقيادة البغدادية حوله مجداً جديداً، أضيف إلى ما حققه من انتصارات في مرحلة التعرض داخل إيران سابقاً. وجاء حصار نادرشاه سنة 1156هـ/1743م للمدن العراقية الثلاث: بغداد والموصل والبصرة لتمثل ملاحم جديدة في الاستبسال في الدفاع عن البلاد، وقد أظهر أحمد باشا أنه الأقدر على المراوغة السياسية، والدفاع العسكري، في آن واحد، كما أظهر الشعب المحاصر قدرته على التحمل، والتعاون، ومساندة القيادة، في الوقت نفسه. فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما أظهرته الموصل والبصرة من صفحات الصمود الباهر، صار مفهوماً لم فشل نادرشاه رغم حشد قواته التي بلغت نحو ثلث مليون جندي وضابط في اقتحام أي من هذه المدن، ومن ثم اضطراره، مرة أخرى، إلى الانسحاب إلى داخل إيران، حيث لقي حتفه اغتيالاً على يد بعض المتآمرين عليه.

لقد أظهرت انتصارات أحمد باشا في إيران، وقدرته على ضرب القوى التي تعاونت مع نادرشاه، في أثناء زحفه على العراق، وتحشيده القوى الشعبية في بغداد للدفاع عنها، ليس مزاياه القيادية فحسب، وإنما المزايا القتالية لقواته من المماليك الذي أحسن أبوه أحمد باشا، وأحسن هو، تدريبها وأعدادها لمهام القتال والإدارة معاً، فزاد هذا من صعود منزلة المماليك، وبدت أنها هي المؤهلة للقيادة، ليس في بغداد فحسب، وإنما في توابعها أيضاً، في ولايتي شهرزور والبصرة، في الظروف المقبلة. وسرعان ما نمَت في سراي الولاية العلاقات المناسبة بين المماليك والأحرار منهم، وتولى نَفَرٌ منهم مناصب هامة تفوق مناصب الأحرار أنفسهم، عدا منصب سيدهم القديم، فلم يكن مستبعدا أن يتزوجوا من بنات سادتهم وأن يعينوا حكاما في مختلف أجزاء الولاية وتوابعها[1]، وهو ما حدث فعلا لسليمان آغا المملوك الذي اشتراه حسن باشا وتعده بالتربية حتى حصل على حريته بخدماته الجليلة لابن سيده أحمد باشا، وبشجاعته التي أظهرها أثناء حصار الإيرانيين بغداد سنة

---

(1) Ives, E.: Op. Cit., p. 258.

1145هـ/ 1732م، فقد نال سليمان- وهو من ألف من أجله هذا الكتاب- أولا منصباً وَسَطاً ثم ارتقى لأن يكون (خَزْنه دار). وأخذ يترقى في المناصب من رتبة إلى أخوى حتى جاوز جميع المناصب السامية إلى وظيفة (الكتخدا)، وهو ثاني منصب في الولاية كلها، والمرشح لتولي الحكم بعد واليها[1]. وقد توج نجاحه الباهر بتزويج أحمد باشا إياه ابنته الكبرى (عادلة خاتون)، فكان بذلك أول مملوك ينال مثل هذا الشرف الكبير. واستطاع سليمان أن يتزعم طبقة المماليك الفتية فنال حبهم وتقديرهم، حتى أنهم «أطبقوا على طاعته، وتراضوا عن طيبٍ برياسته»[2]، كما أنه نجح في كسب ثقة الطبقة العليا في بغداد، و«توثقت بينه وبين البغداديين عرى الألفة وتمكنت أسباب المحبة، واتخذ بغداد وطناً مقدساً لأنه نشأ فيها من أول عمره وغضاضة سنّه»، وصار «ملاذاً للخاصة والعامة في كل ما يعرض لهم من الأحوال»[3]. وفي هذا سجل كاتب معاصر له هو سليمان بك الشاوي شهادته فقال «ومما شاهدنا في زمننا من ذوي المروءة والبسالة والنجدة، والٍ في بغداد يدعى بالوزير سليمان باشا، ومن بعض مناقبه أنه جاءه رجل من الرِّقة، وعليه ديون كثيرة، وكان من ذوي البيوت، فأمر له بإيفاء ديونه، وأجزل له العطاء». وقال أيضاً «وخصاله جَمَّة لا تحصى، إلاّ أننا ذكرنا هذه إعلاما بذهاب المروءة، وكساد سوقها، وعدم الإعتناء والرغبة بذوي الحسب والنسب»[4]. فرعاية ذوي البيوتات القديمة كان سبباً آخر لالتفاف فئات عليا لها وزنها الاجتماعي من حوله.

ووجد فيه النصارى وكثير منهم من التجار، حاميا لطائفتهم[5]، في وقت كان للبيوتات التجارية في ذلك العهد تأثير متعاظم بسبب علاقاتها الواسعة في المدن العثمانية، لا سيما في العاصمة استانبول[6].

---

(1) لونكريك ص201.

(2) المخطوط، الورقة 40.

(3) المصدر نفسه ص21.

(4) سكب الأدب على لامية العرب، تحقيق مُهَنَّد مجيد برع العبيدي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية التربية بجامعة تكريت 2005، 139.

(5) Ives, E.: Op. Cit., p. 282.

(6) ينظر بحثنا طبقة التجار في العراق في عهد المماليك. مجلة ميزوو، أربيل، العدد15، 2010

وكشف عهد الولاة الذين أعقبوا أحمد باشا عن أهمية هذه المؤسسة المملوكية وعدم جدوى تجاهلها، فقد حاول ثلاثة من الولاة النابهين أن يسيطروا على مقاليد الأمور ببغداد دونما فائدة[1]. وأثبتت الحوادث للولاة المتعاقبين أنه من العسير الاستمرار في الحكم دون تأييد طبقة المماليك القوية ومساندتها، ولم تفلح حركة تغيير الولاة والمتسلمين بين ولايات العراق في إنقاذ الوضع المتأزم[2]، في الوقت الذي بدأ فيه المماليك يجمعون صفوفهم- بزعامة سليمان- بصورة شبه علنية[3]. ولم تنجح خطة الباب العالي في إبعاد سليمان المذكور عن حكومة بغداد بتعيينه متسلما للبصرة، فقد استطاع الزحف بجيشه المؤلف من مماليك سيده إلى الحلة، حيث دارت معركة غير متكافئة بين قواته وقوات والي بغداد أظهر فيها من الإقدام والشجاعة ما أبهر معاصريه[4]، ولبث في الحلة برهة، حيث استقبله المعجبون به، وامتدحه الشعراء، وفي تلك المدة ألف مؤلف كتابنا هذا كتابه وأهداه إليه، ولما ظهر له «أن جميع أهل بغداد راغبين لأفندينا سليمان باشا»[5] تقدم بقواته إلى بغداد حيث انضمت إليه قيادات المماليك.

وسرعان ما فشلت محاولات محمد باشا، والي بغداد الجديد، وفي الوقوف بوجه سليمان باشا، فاضطر إلى الانسحاب من بغداد، ليدخلها من بعده المملوك

---

(1) دوحة الوزراء ص103-106 وياسين العمري: غاية المرام ص183.

(2) تاريخ شمعداني زاده الورقة 77 و141 و158 و168 ويذكر مؤرخ موصلي معاصر أنه لما ولي احمد باشا على بغداد عقب وفاة سمية أحمد باشا بن حسن باشا «خرج من بغداد سليمان باشا ومعه اتباع مخدومة ومماليكه وتوجه إلى البصرة وأقام إلى أن ولي بغداد سنة أثنين وستين، فقدم إلى بغداد ودخلها (مجهول: روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخبار، بتحقيقنا، ص23). ولا ندري ما اذا كان سليمان قد اصطحب معه معظم مماليك الواليين السابقين، حسن باشا واحمد باشا، أم أنه اقتصر على أتباعه من اولئك المماليك، ومن المرجح أن أغلب اتباعه كانوا من مماليك احمد باشا فقط، الذي هو صهره.

(3) رحلة نيبور ص57.

(4) وصف محمد سعيد السويدي هذه المعركة تفصيلاً في كتابه: ورود حديقة الوزراء الورقة 4، نشر الكتاب بتحقيقنا في دار الزمان - سوريا

(5) المصدر نفسه، الورقة 5.

المعتق، سليمان باشا، زعيم المماليك(1)، فكان قدومه- على- حد تعبير أحد المعاصرين- يوماً مشهوداً، أجرى فيه نوافذ أحكامه(2)، إذ أدرك الجميع أنه ليس ثمة رجل يتمكن من القضاء على الفوضى السائدة في هذه الولاية ويقوى على إدارتها غيره(3).

وكانت السنين التي حكم خلالها سليمان باشا من أحسن العهود التي توالت على العراق العثماني. فلقد أدرك، حتى قبل أن يصل إلى الحكم، أن مشكلة العراق الأساس تتمثل في (الفوضى) التي كانت تضرب كل شيء، فالصراع بين مراكز القوى في السراي، وتمرد القبائل المستمر، وكثرة قطاع الطرق في الريف، واضطراب حبل الأمن، كانت كلها تحديات حقيقية لأي نظام. صحيح أن عهد حسن باشا وأحمد باشا، شهد بوادر تحسن ملحوظ في ضبط الأمر، إلاّ أن الحروب المستمرة بين الدولة العثمانية وايران، وغزوات نادرشاه المتكررة، أعاقت ذلك التحسن، وإذا كانت محاولات الولاة السابقين قد فشلت في هذا المجال فليس ذلك إلاّ لافتقاد الأدوات اللازمة لإنجاحها، وهكذا أثبت للجميع أهمية طبقة المماليك ومدى ضرورتها في استتباب الأمن والنظام في البلاد. فأعاد فتح مدارس المماليك القديمة التي ألغيت في عهد خلفاء أحمد باشا، واعتنى بتنظيم شؤونهم، وأكثر من شراء مماليك جدد، فتدفق سَيل من الأرقاء البيض ينحدر على بغداد

---

(1) دوحة الوزراء ص106 وقد أورد أحمد واصف نص فرمان تعيينه (محاسن الآثار، استانبول 1219 ج1 ص137) وذكره أيضاً عبد الله الفخري: تاريخ نشاطي، الورقة 55 (نسخة المركز الوطني للمخطوطات في بغداد).
و .Baysun, C.: Baghdad (Is. Ans., 2, p. 209)

(2) ويقدم المؤرخ الرسمي شمعداني زاده تفصيلات مهمة بشأن ظروف توليه سليمان باشا، فيذكر أن المماليك نجحوا في أثارة فتنة بين الينكجرية وسائر العسكر بحجة تأخر العلوفات (المرتبات)، مما أدى إلى حدوث قتال بين الطرفين، عزل على أثره الوالي العثماني المعين حديثا (مرأى التواريخ. الورقة 229، نسخة مكتبة جامعة القاهرة). ويلاحظ أن هذا الأسلوب في إحراج السلطة المركزية، هو الذي كان يتبعه الجليليون في الموصل، عند تعيين وال غريب فيها. انظر لانزا، دومنيكو: الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لانزا ص17-18.

(3) رحلة نيبور ص58.

من تفليس. ونمت بين أولئك المجلوبين من الأماكن النائية روح عصبية قوية لم تكن ملحوظة من قبل، ولّدها شعورهم بأقليتهم في وسط المجموع العراقي الكبير، فضلاً عن تلك الحياة المشتركة التعاونية التي عاشوها في مدارسهم وثكناتهم «فاستحكمت قواعد المصافاة في قلوبهم، واشتدت عُرى عصبيتهم»[1].

وعمل سليمان باشا على جمع زملائه من المماليك الذين فرّقتهم سياسة سابقيه من الولاة، ومنحهم المناصب والوظائف الإدارية والعسكرية، حتى احتكروا- تقريبا- المراكز العليا في الولاية كافة، فكان منهم الموظفون الماليون والكتاب وكبار ضباط الجيش[2]، فكان ذلك انعطافا خطيرا في وضع المؤسسة المملوكية، وبعد أن لبثت طوال نصف قرن تقريبا أداة طيعة بيد حكومة الولاية، أصبحت الآن تؤلف هذه الحكومة نفسها، وبذلك فقد انتقل المماليك- في هذا الطور- من كونهم (فئة) إلى وضعهم الجديد باعتبارهم (طبقة) حاكمة فعلا.

وفي هذه المدة، تمكن المماليك لأول مرة من النفاذ إلى قيادة المؤسسة العسكرية التقليدية (الينكجرية)، فتولى أحدهم منصب رئيس القوات النظامية في بغداد وتولى آخرون منصب (ضابط البلدة)[3]، وهي مناصب عسكرية هامة كانت يشغلها دوماً ضباط ينكجريون عثمانيون. وتوزعت قيادات المماليك في مدن الولاية الأخرى، كالبصرة والحلة والحَسَكة وكركوك[4]، فكان ضبطهم العسكري الشديد، وخبرتهم بفنون الحرب ودرايتهم بالأوضاع المحلية، مثار لإعجاب فئات واسعة من سكان المدن، وهم الذين طالما عانوا- من قبل- من ضعف الادارة، وانعدام السيطرة على الطرق التجارية، ومن ناحية أخرى تمكن الولاة المماليك، بموجب صلاحياتهم الجديدة، من تجنيد أعداد متزايدة من الجنود المتطوعين، غير النظاميين، لتكون في خدمة النظام.

---

(1) تاريخ المماليك الكوله مند ص25.

(2) احمد جودت: تاريخ جودت، استانبول 1302 ج1 ص27. و لونكريك ص204

(3) سليمان فائق: مرآة الزوراء في أخبار الوزراء، نشر بعنوان تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1962 ص79.

(4) رحلة نيبور ص69.

نجح سليمان باشا، وهو أول المماليك، في أن يحذو حذو سلفه ومربيه السابق في تقديم أنموذج الحاكم العادل، والقوي، في وقت واحد، إذ «حكم في العراق براً وبحراً مدة من الدهر، مطاعاً مقداماً لا تروعه الأعداء كثرت أو قلت، ولم يعهد في مدة حكومته إفشال كتيبة من الكتائب التي يرسلها، فضلاً عن أن تكون مصاحبة له»[1]. وقال ياسين العمري «كان موفقا بالحروب»[2]، وقال مؤرخ موصلي، ربما كان ياسين العمري نفسه، أن العرب كانت تسميه «أبو ليلة، لأنه قصد يوماً قطاع الطريق، فقطع بيوم وليلة طريق سبعة أيام»[3].

أما عدله، فقد تمثل -كما قال الشاوي- «بأنه مدة حكومته في بغداد لم يسفك دماً بغير وجه شرعي، ولم يأخذ من أحد درهماً واحداً إلاّ قرضاً، وعاشت في أيامه أناس كثيرة على أنعامه وإكرامه، وعمرت بيوت غزيرة، على عطاياه حيث كانت كثيرة، ولم يبق في بغداد صوفي أو طالب علم إلاّ وفد شمله ألطافه، وعَمَّه إسعافه». وكان — مع ذلك- متواضعاً ديناً فإنه «مع ما له من الهيبة والجلالة، صغير النفس جداً ،كثير التواضع، وكانت له عبادات حسنة لا يشك أحد في أنها مقبولة، وكانت له مع نفسه محاسبات ومعاتبات».

ورثاه أحد معاصريه، وهو عبد الرحمن السويدي، برثاء مؤثر جمع فيه مزاياه السياسية، والاجتماعية، والعسكرية، فقال:

فمَن للأرامل من بعده	ومن للضيوف، ومن للقِرا
ومن للوفود، ومن للنقود	ومن للغني إذا أعسرا
ومن للسيوف ورغم الأنوف	ومن يورد الأمر إن أصدرا
ومن لصروف تحل العنا	ومن لمخوف يحل العرى
ومن لانتظام أمور العراق	ورفع الشقاق ونفع الورى

(1) سكب الأدب، ص145.

(2) الدر المكنون في المآثر الخالية من القرون، الورقة305 .

(3) روضة الأخبار في ذكر أفراد الأخيار ص24.

ومن ذا يقيم لسد الثغور وحفظ البلاد وحصن القرى

ومن يبسط العدل بين الأنام ومن يقبض الجور والمنكرا[1]

كانت شخصيته، كما يذكر رسول حاوي الكركوكلي، مفعمة بالحيوية في إدارة شؤون الحكم، فلم يفتر، في خلال مدة حكمه، عن قيادة الحملات العسكرية بنفسه لقمع قطاع الطرق، حتى «ترك الناس يعيشون بطمأنينة وأمان في الوقت الذي عجز قبله عن ضبط النظام ثلاثة وزراء جاءوا بعد المرحوم أحمد باشا»[2]. وضرب المثل في سرعة ضربه لحركات التمرد، حتى أنه تجاوز- غير مرة- حدود الولايات العراقية، ليفرض النظام في الولايات الأخرى، فحينما نهب بدو تابعون لباشا دمشق قافلة من بغداد، لم يتردد في الانطلاق بسرعة، ليجتاز الصحراء في تسعة ايام «لينتقم لتلك الإهانة»[3].

ونقطة الضعف الوحيدة في شخصيته، كما رآها بعض معاصريه، هو ضعفه تجاه زوجته عادلة خاتون بنت سيده السابق أحمد باشا تلك السيدة القوية التي فرضت كلمتها ليس على سراي الحكم فحسب، وإنما على كل المناطق التابعة لإدارة بغداد، لا سيما أنه لم يكون مألوفاً في ذلك العصر أن تتدخل سيدة فيما هو خارج شؤون (الحَرَم)، لتتدخل في تعيين مسؤول، وعزل آخر، وإنفاذ حملة، ومعاقبة متمرد، على أن أمر تدخلها كان ايجابياً، لأنها تمكنت بحكمتها أن تجمع حول زوجها جميع القوى المؤثرة في اسناد حكمه، فضلاً عن قيامها بمشاريع إصلاحية عديدة مفيدة للمجتمع[4].

توفي سليمان باشا في سنة 1175هـ/1762م بعد مرض عضال عاناه لمدة ستة أشهر، فترك فراغاً كبيراً وراءه أحسَّ به كثيرون، وقد رثاه شعراء بقصائد مؤثرة، كما أثارت وفاته حزن الشعب عامة، إذ يقول رحالة أوربي معاصر «كان الشعب

---

(1) ديوان عبد الرحمن السويدي، بتحقيقنا ووليد الأعظمي، بغداد 1998، ص82.

(2) دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت بلا تاريخ، ص132.

(3) ورود حديقة الوزراء، الورقة 4.

(4) كتابنا : عادلة خاتون، صفحة من تاريخ العراق، بغداد 1997.

يحبه لدرجة أنهم غنوا مرثيات عديدة له ترَحُماً على وفاته، وما زالت تلك المراثي يرددها المغنون في مقاهي بغداد إلى اليوم»[1].

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب هو محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الرحبي، وغاية ما ذكره عن نفسه في هذا الكتاب اسمه، واسم أبيه، وأسرته، والمنصب الذي كان يشغله في أثناء تأليفه إياه، حيث قال «يقول أحوج الخلق إلى رضاء الحق، محمود بن الشيخ عثمان الرحبي المفتي في الحلة». ونحن نعلم أن ممن تولى الإفتاء في هذه المدينة من يدعى محمد الرحبي، فلعله أخوه، أو أبوه، أو من أفراد أسرته. وعلى أية حال، فإن آل الرحبي أسرة علمية قديمة، أصلها من رحبة الشام[2]، نزحت إلى بغداد «من زمان قديم»، واستوطنت محلتي (باب الشيخ)، و(السِّنك) من محالها القديمة، وكان لها في محلة باب الشيخ مجلس أدبي وعلمي حافل «بالعلم والفضل والأدب»، وباتت دورهم تؤلف محلة قائمة بذاتها عرفت بمحلة آل الرحبي، وأشير إليها بهذا الاسم في وثائق القرن الثالث عشر للهجرة[3]، منهم من اختار السكنى في قرية بُهْرُز من أعمال مدينة بعقوبا[4]. وتولى علماء الأسرة مناصب الإفتاء في بغداد عدة أجيال، ومنهم من تولى الإفتاء في الحلة، مثل محمد الرحبي، وإفتاء الشافعية في البصرة مثل الشيخ علي بن الشيخ محمد الرحبي[5]، ومن علمائهم العلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد الرحبي البغدادي (توفي سنة 1184هـ/1770م) مؤلف كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المُرصَد على كتاب الخراج) وهوشرح كتاب الخراج لأبي يوسف[6]، ومنهم الشيخ محمد بن عبد

---

(1) هويد: رحلة من ساحل مالابار إلى القسطنطينية، ترجمة سعاد محمد خضر، السليمانية 2011، ص135.

(2) تقع الرحبة على بعد 5 كم جنوب مدينة الميادين التابعة لمحافظة دير الزور.

(3) جاء في وقفية الحاج اسماعيل بن محمود أفندي الرحبي المؤرخة في 20 جمادى الآخرة من سنة 1225هـ، أنه وقف دارَين «في محلة آل رحبي زاده، وباغجة (حديقة) ملحقة بالدارين المذكورين». كتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، بغداد 2000، ص39.

(4) إبراهيم الدروبي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958، ص136.

(5) محمد سعيد السويدي: ورود حديقة الوزراء، مخطوط حققناه وهو معد للنشر، الورقة 18أ.

(6) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ج1 ص585.

الرحمن الرحبي (توفي سنة 1197هـ/1782م)، الذي عَدَّه العلامة عبد الله السويدي من شيوخه،[1] وكان مؤرخاً كتب في موضوعين مهمين هما (تاريخ قضاة بغداد) و(تاريخ نساء بغداد)[2]. ومنهم أيضاً عبدالرحمن الرحبي، وخليل بن محمد الرحبي، وعبد الغفور الرحبي، وولده محمد بن عبد الغفور الرحبي البغدادي (كان حياً سنة 1197هـ/1665م) الذي ألف كتابه (نزهة المشتاق في علماء العراق) وترجم فيه لعدد من علماء العراق وأدبائه[3]، والملا ياسين بن عبد القادر الرحبي، وعبد الكريم بن محمود الرحبي، وعبد الكريم بن الشيخ محمد الرحبي، والحاج إسماعيل بن محمود الرحبي، وعمر أفندي بن محمود الرحبي، وعبد السلام الرحبي[4]، وعبد الفتاح الرحبي، وإبراهيم الرحبي، وقاضي البصرة عبد الحميد بن عبد الله بن محمود الرحبي (توفي سنة 1247هـ/1831م)[5]، وغيرهم ممن عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18و19م) «وكلهم علماء أعلام»[6]. قال السيد إبراهيم فصيح الحيدري (المتوفى سنة 1300هـ/1882م) «هو بيت علم، وقد نشأ فيهم رجال أجلاء»[7].

وليس من المحدد تاريخ وفاة المؤلف، وقد ذكرت مراجع ترجمته[8]، وكلها غير معاصر، أنها جرت سنة 1150هـ/1737م، مع أنه كان حياً سنة 1162هـ/1748م، فهذا هو تاريخ إهدائه كتابه إلى سليمان باشا، في أثناء إقامته في الحلة، في ذلك التاريخ.

---

(1) النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ط2، بيروت 1911، ص99.

(2) كتابنا : التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط2، لندن 2009، ص176- 177.

(3) عصام الدين العمري: الروض النضر، ج3 (بغداد 1976) ص90 وكتابنا : التاريخ والمؤرخون ص158.

(4) استخرجنا هذه الأسماء من سجلات الوقفيات المحفوظة في وزارة الأوقاف (ديوان الوقف السني الآن)، وينظر الملحق الذي أضفناه إلى كتاب عبد الرحمن حلمي السهروردي، بتحقيقنا، بغداد 1996، ص127-128.

(5) سجل عبد الحميد هذا نسبه على النحو الآتي: عبد الحميد بن عبد الله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد النافع الموسوي الحنفي المعروف بالرحبي. كتابه (الزلزلة العظمى) في المكتبة القادرية. كتابنا : الآثار الخطية في المكتبة القادرية، بغداد 1977، ج2 ص488.

(6) الدروبي ص136.

(7) ابراهيم فصيح الحيدري: عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد بلا تاريخ، ص92.

(8) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت 1967، ص323، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج12 ص179 وBrock.,II,373,374.

منهج الكتاب

ألف كتابه هذا – كما أعلنَ في مقدمته- ليؤرخ فيه سيرة سليمان باشا والي بغداد المعروف بأبي ليلة، وهو أول ولاة المماليك في بغداد وتوابعها، ونوّه بطريقة تبويبه إياه إذ ذكر أنه بدأ أولاً بذكر مناقب هذا الوالي وبعض سيرته ثم عرَّج إلى ذكر سيده ومولاه والي بغداد أحمد باشا، ثم تناول مناقب أبي الأخير والي بغداد حسن باشا، ثم أنه توصل بعد ذلك إلى ذكر نبذ من تاريخ الدول السابقة، كل ذلك على سبيل الاختصار، ولا تتفق هذه الطريقة مع ما اتبعه في الكتاب فعلاً، فإنه قسَّم كتابه إلى أربعة أبواب تناول في البابين الأولين منها تاريخ الدول السالفة، قبل الإسلام وبعده، وخصص الباب الثالث للسيرة النبوية، ولم يخصص لسيرة سليمان باشا وسلفيه إلا الباب الرابع، وهو الأخير، فحسب، وحتى هذا الباب لم تحتل منه تلك السيرة غير الفصل الأخير، بينما خصص الفصلين الأولين للحديث عن سَلَفيه المذكورين، وهو ما يخرج عن شرط العنوان (ذكر الوزير سليمان).

ما الذي أراد به الرَّحبي إذاً حينما قدم لسيرة مترجمه بنبذ عن تاريخ دول العالم، منذ الخليقة حتى عهد سلاطين الدولة العثمانية، التي كان يعيش في ظلها؟ الذي نراه أنه أراد تقديم (خلفية تاريخية) لتولي سليمان باشا الحكم، شعوراً منه أن مجيئه إلى بغداد والياً كان يمثل بداية لتأسيس حكومة جديدة، تضاف إلى الحكومات السالفة التي تحدث عنها، ونرى أن هذا الشعور كان صحيحاً إلى حد كبير، فسليمان باشا لم يكن مجرد وال عثماني كغيره من الولاة الذين توالوا على حكم بغداد منذ أكثر من قرنين، وإنما كان أول ولاة المماليك، تلك الفئة من المماليك الكرج الذين قدر لهم أن يمتد حكمها منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من الإطار العثماني لحكمهم إلا أنهم باتوا يشكلون حكومة حقيقية شبه مستقلة عن الدولة العثمانية، إلا في الشؤون الخارجية، فهي (حكومة) لها مقوماتها الإدارية والجتماعية المحلية، ومن ثم فهي تستحق في نظره أن تصطف مع الحكومات المتعاقبة الأخرى[1].

(1) التاريخ والمؤرخون ص39.

ومن ناحية أخرى، فقد كان من المعتاد أن يقدم المؤلفون إلى ولاة عصرهم مؤلفاتهم التي تتحدث عن تاريخ الحقب السابقة، حتى كان هذا التقديم أحد أسباب النهوض بكتابة التاريخ، أو أن يترجم بعضهم لوال بذاته مضيفاً إلى هذه الترجمة عدداً كبيراً من تراجم من شارك من ألف من أجله الكتاب اسمه، نظير ما فعله ياسين بن خير الله الخطيب العمري الموصلي (توفي بعد 1232هـ/1816م) في مؤلفاته (السيف المُهنَّد فيمن اسمه أحمد) و (غاية البيان في مناقب سليمان) و(قُرَّة العينين في تراجم الحسن والحسين)، فيجد الوالي المذكور نفسه بين عظماء التاريخ، الذين يحملون اسمه، وهو ما من شأنه أن (يدغدغ) احساسه بالعظمة الذي عنده. ولا يبعد أن يكون هذا النوع من المؤلفات تعبير عن الرغبة في تقديم الثقافة التاريخية اللازمة لأولئك الحاكمين، لا سيما وأن التاريخ لم يكن مما يُدرَّس في ذلك العصر بوصفه علماً من العلوم التي يجري تدريسها في المدارس وفي حلقات الشيوخ، وتؤخذ فيها (الإجازات العلمية) مثلاً.

أشار المؤلف أحياناً إلى مصادر متنوعة لما أورده من مواد تاريخية، إلا أنه – فيما توضّح لنا– لم يعتمدها مباشرة، وإنما من خلال تلخيصه لكتاب واحد هو (أخبار الدول وآثار الإول) لأحمد بن يوسف الدمشقي القَرَماني[1]، ومنهج هذا الكتاب شبيه بمنهجه، فهو يقدم فصولاً عديدة يتناول كل منها تاريخ واحدة من الدول، وبضمنها السيرة النبوية، ودول الخلفاء التالية، وقد اقتبس المؤلف من هذا الكتاب مادته، إلاّ أنه خالفه في ترتيبه لها، فبينما عرض القرماني التاريخ على وفق سني الأنبياء، وصولاً إلى عهد الرسول (ص) ثم آل بيته والخلفاء الأمويين فالعباسيين، فالدول التالية وبضمنها الدولة العثمانية حتى عهده، وبعض الدول التالية، وذلك قبل انتقاله لذكر الدول القديمة التي سبقت الإسلام، نجد المؤلف يبدأ بذكر الدول الفارسية، ثم تنقل بين الدول التالية من غير ترتيب زمني محدد، فهو قد تحدث عن دولة اليونانيين بعد حديثه عن دولة الغزنويين وهكذا، وقد صرح هو بأنه اختصر ما نقله، وفي الواقع فإنه اختصر فصولاً بكاملها إلى نبذ قصيرة، ربما لأنه لم يشأ أن يثقل على قارئه الأول، وهو سليمان باشا، قراءة ما يزيد على ذلك، أو لأنه لم يملك الوقت اللازم للتوسع فيما أورده من معلومات.

---

(1) طبع ببغداد على الحجر، مطبعة كامل التبريزي، سنة 1282هـ.

أما السيرة النبوية التي تشغل الباب الثالث من الكتاب، فإنه لم يشأ أن يعتمد على القرماني، وإنما لخص مادتها من كتاب لم يسمه، أو كتب تبحث في هذه السيرة المشرفة.

مخطوطة الكتاب

من الكتاب نسخة فريدة بخط مؤلفها، في مكتبة المتحف البريطاني تحت العدد (Add.7336P.6523)، ومنها نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، برقم 49م، بحسب الترقيم القديم، وبرقم (9/ تراجم وسير) بحسب الترقيم الجديد، ونسخة مصورة أخرى في المركز الوطني للمخطوطات تحت العدد (9453). وتقع النسخة في 45 ورقة، في كل منها 19 سطراً، وهي بخط المؤلف، وهو خط نسخ جيد، ضبطت حروفه بالشكل[1].

ذكر المؤلف سبب تأليفه كتابه هذا صراحة بأنه كان بمبادرة منه، لا بطلب من ألفه من أجله، وهو والي بغداد والبصرة سليمان باشا، فقال أنه لم يؤلفه إلا بعد أن « نازعتنى نفسي، وأقلقني يومي وأمسي، من أن أجمع أوصافه الجميلة، ومناقبه الجليلة، في تاريخ يُنشر على صفحات الزمان». ولم ينوِّه في تضاعيف كتابه عن مدى علاقته بهذا الوالي ليقوم بهذا العمل، إلآ أننا نعلم أن قريباً له، من أسرته الرحبية، كان مفتياً في البصرة حيث تولى سليمان باشا ولايتها قبل أن توجه إليه ولاية بغداد، وأنه حينما قصد بغداد مَرَّ بالحلة حيث أقام بها بعض الوقت، فمن المحتمل أنه أهدى الكتاب إليه في أثناء تلك الإقامة.

أما أسلوب المؤلف فهو في معظم الكتاب رهين بأساليب المصادر التي نقل منها، ما عدا مقدمته والباب الأخير، وهو الرابع، فإنه كتبهما بأسلوبه الخاص، وهذا الأسلوب يعتمد على العبارات المسجوعة المتلاحقة، والألفاظ المفخمة، والإطناب في المدح والثناء، مثله في ذلك مثل أكثر مؤلفات عصر المماليك، على أنه لم يشأ أن يعزز نثره بنماذج مما قيل من شعر فيمن ألّف من اجله هذا الكتاب، أو في سَلَفه أحمد باشا، على الرغم من وفرة الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض القصائد البليغة، والظاهر أنه رأى في ذلك تطويلاً يخرج به عن منهجه في أن يكون «في درجة الاختصار، ليكون أقرب الى التناوش، وأبعد عن الملل».

---

(1) التاريخ والمؤرخون ص149.

منهجنا في تحقيق الكتاب

1- اعتمدنا على النسخة الوحيدة التي نوَّهنا بها آنفاً، فهي بخط المؤلف، واضحة الخط والشكل.

2- بما أن المؤلف اعتمد في المواد التي تختص بتاريخ الدول السالفة، على كتاب وحيد، هو (أخبار الدول وآثار الإول) للقرماني، فقد قابلنا ما نقله منه، أو لخَّصه، على ذلك الكتاب، وأثبتنا أرقام الصفحات التي في الكتاب المذكور في هوامش مناسبة، ولم نشأ أن نعلق على هذا النص بأكثر من ذلك إلا نادراً، فهو قد قدم نبذاً تاريخية في نحو أربعين دولة، والتعليق على هذا العدد من الدول يضاعف حجم الكتاب مرات عديدة دون كبير جدوى، ويجعل من عملنا تحقيقاً أو تعليقاً على تاريخ القرماني نفسه. أما الباب الثالث الخاص بالسيرة المُشرَّفة فقد قابلناه على مصادر هذه السيرة حيث لم يصرِّح بالمصدر التي اقتبس منه ما نقل.

3- تابَعنا المؤلف فيما عاصره من سيرة سليمان باشا وسَلَفه أحمد باشا بما يُوضِّح ظروف هذه السيرة.

4- قدَّمنا للكتاب بهذه المقدمة التي سَعَينا فيها للتعريف بالمؤلف وبالكتاب نفسه وموضوعه وبنسخته المخطوطة.

5- حوَّلنا التواريخ الهجرية الواردة في الكتاب إلى التقويم الميلادي، وأثبتنا ذلك في مواضعه.

6- أثبتنا أرقام صفحات المخطوطة لتسهل مراجعتها، فوضعنا رقم كل ورقة بين معقوفين هكذا [و1أ] أي الورقة الأولى، الوجه الأول منها.

ولابد لي هنا أن أشكر الصديق الباحث زين أحمد النقشبندي لتفضله بتصوير نسخة مصورة من مخطوطة الكتاب تحتفظ بها مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، وهي التي اعتمدناها في التحقيق، جزاه الله تعالى كل خير.

والله من وراء القصد.

عماد عبد السلام رؤوف

اربل في 5 حزيران 2012

النص- التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الحكيم، العليم الحليم، الحميد الولي، القوي الغني الحفي، العلي المجيد، الأوَّل فلا بداية لكبريائه، الآخِر فلا نهاية لبقائه، الظاهر بما أظهر من آياته وآلائه، الباطن فلا يحيط العقل بحقيقة ثنائه، استخلف على عمارة عالمه من انتخبهم من خلقه وآثرهم بإلهامه، لدفع الشكوى ورفع البلوى، فالملك كالشمس والوزير كالقمر، وجنوده كمصابيح الدجى، ولم يكتف بذلك حتى ابتعث الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، داعين إلى توحيده، ونادبين لتسبيحه وتمجيده، وجعل من انتقاهم من خليقته موسومين بسننهم، ومثل من قام بعدهم من الولاة والأمراء على مناهجهم، إلى أن ختمهم بالنبي المصطفى، الأمين المُجتبى، الأبطحي[1] المُرتضى، محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، فأرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الحق بإذنه وسِراجاً منيراً، وجعل أمته أفضل الأمم [و1أ]، وكلمتَهم أعدَل الكَلِم، شهداء على من يظهر الجُحود، وينكر الواحد المعبود.

أحمده على جزيل آلائه، وأشكرُه على جليل عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لاذ لحمائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أصفى أصفيائه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما سبَّح مُسبِّح بأرضه وسمائه.

وبعدُ..

فيقول أحوج الخلق إلى رِضاء الحق، محمود بن الشيخ عثمان الرَّحبي المفتي في الحلّة:

لما رأيتُ من له السَّعد والمجد والكرم، والعزُّ والفخر وعلوُّ الهمم، مصاحباً وخادماً، المختص بالنفس القدسية، والمُكرَّم بالرياسة الأنسيّة، غُرَّة الزمان، ناظرة الإيمان، نخبة ذوي الفخر والشان، تاج وزراء آل عثمان، أعظم الولاة وأكرم الكُرماء، سليمان باشا، نصر الله جُنده وجَدَّه، وأسعد على رغم المُعاندين جِدَّه،

---

(1) الأبطحي: نسبة إلى أبطح مكة، وهي: المكان المتَّسعُ يَمُرُ به السيل، فيترك فيه الرملَ والحصى الصغار.

وأعلى يَدَه، وأوْرَى زَنده، وبلّغه ما تمناه، وأعطاه فأرضاه، قد حاز الله له من البُسطة في العلم والحلم، والهَيبة بالإسم والجسم، وأولاه من الفخر ما يُرسم على لفتات الدهر، ويتلى إلى جاذبات العُمُر، فخراً تقصرُ عن وصفه البلغاء، وتعجز عن استكمال تقريره الفضلاء، ولقد علم أبناء الزمان، من الأمثال والأقران، من حيث مَدَّ الصباح جناحيه إلى أن ضمهما الوقوع في أفق المغرب، أن راية الوزارة لم تضل عن وزير أعظم قدراً، وأفخم ذكراً، وأمدُ باعاً، وأشد امتناعاً، وأقطع سيفاً، وأكرم ضيفاً، وأعم سخاء، وأغنى غناءً، [و2أ] وأوسع علماً، وأوقع حلماً، وأجلَّ جلالةً، وأكمل عدةً وآلة، وأحمى للإسلام وذَويه، وأنفى للشرك ومنتحليه، منه، شعر:

له الوزارةُ في الدنيا مُسَلَّمَة كما الخلافة في أولاد عباسِ

نازَعتني نفسي، وأقلقني يومي وأمسي، من أن أجمع أوصافه الجميلة، ومناقبه الجليلة، في تاريخ يُنشر على صفحات الزمان، ويبقى على مَمَر الأحقاب والأحيان، في كل وقت وآن. كذلك ذكرِ من قد ارتفعت رايات المُلك والدين بعد الخفض بشأنه، وتشيَّدت آيات الميلاد الحق المبين بعد الرفض في سلطانه، الذي طأطأت له رقاب الجبابرة، وحَسَدت عُلّياه قروم الأكاسرة، الوزير المُفخَّم، المرحوم المبرور أحمد باشا، أسْبَل الله عليه سِجال العفو والرضوان، وأوسَعَه الرحمة وأعلى الجنان، يشتمل ذكرَه على مناقبه وصفاته ومدة ولائه، وولاء أبيه المرحوم حسن باشا ببغداد، وتاريخ مماته، وما جرى في زمانه من حصار بغداد، إلى أن دَرَج القلم إلى ذكر مَن سَلَف من الملوك والسلاطين في الأزمنة الماضية والأمم الحالية، مثل الصِّنف الكائن قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بعد ظهور الإسلام طبقةً طبقة، وفصلاً فصلاً، فرداً فرداً، يأخذ الى ذكر خلافة كيمورث بن آدم عليه السلام، مع ذكر بعض حكايات، وجعلته في درجة الاختصار، ليكون أقرب الى التناوش، وأبعد عن الملل، وسمّيته (بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان).

وهو مُرتب على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

فالمقدمة [و2ب] تتعلق في ذكر الأرض ومقدار المعمور منها، ومقدار الممالك.

والباب الاول يتعلق في ذكر ملوك الفرس، وفيه أربع طبقات:

الطبقة الأولى في الفيشدادية وهم أول ملوك الأرض.

الطبقة الثانية في الكيانية.

الطبقة الثالثة في الأشغانية، وهم ملوك الطوائف.

الطبقة الرابعة في الساسانية، وهم ملوك الأكاسرة.

الباب الثاني يتعلق في ذكر ملوك شتى، وفيه خمسة وثلاثون فصلاً.

في الفصل الاول في ذكر ملوك الهند.

الفصل الثاني يتعلق في ذكر ملوك جُرجان من بني مرداويج الديلمي.

الفصل الثالث يتعلق في ذكر بني بُوَيه ملوك العراق.

الفصل الرابع يتعلق في بني سلجوق.

الفصل الخامس يتعلق في القرامطة.

الفصل السادس يتعلق في ملوك بني اللخم ملوك العراق.

الفصل السابع في بني سبكتكين.

الفصل الثامن يتعلق في بني سلجوق بحلب والشام.

الفصل التاسع يتعلق في بني أرتق.

الفصل العاشر يتعلق في الأتابكة.

الفصل الحادي عشر يتعلق في بني طغتكين.

الفصل الثاني عشر يتعلق في آل قرماس.

الفصل الثالث عشر يتعلق في آل براق ملوك كرمان.

الفصل الرابع عشر يتعلق في الغورية ملوك غزنة.

الفصل الخامس عشر يتعلق في جنكيزخان.

الفصل السابع عشر يتعلق في ذكر تيمور.

الفصل الثامن عشر يتعلق في الدشمندية.

الفصل التاسع عشر يتعلق في آل قرمان [و3أ].

الفصل العشرون يتعلق في آل سلجوق في بلاد الروم.

الفصل الحادي والعشرون يتعلق في آل عثمان، أيَّد الله دولتهم الى آخر الزمان.

مقدمة

قال العلامة جلال الدين الأسيوطي[1]: أخرج ابو الشيخ[2] عن حسان بن عطية[3]، قال: بلغني أن مسيرة الأرض خمسمائة سنة، بحورها منها ثلثمائة سنة، والخراب مسيرة مائة سنة، والعمران مسيرة مائة سنة. انتهى. فاسكن يأجوج ومأجوج في آخر بلاد الشمال أرضهم، متصلة ببحر الظلمات، وحدُ بلادهم ثمانون سنة، وأربعة عشر سنة للسودان في بلاد المغرب الاعلى، ممتداً على بحر الظلمات. وست سنين الباقية يسكن الحبشة والهند والصين والفرس والترك والروم والإفرنج والعرب والعجم وسائر العرب[4].

واعلم إنه اتفق المؤرخون في عددٍ البلدان على أنها أربعة آلاف وخمسمائة وستة وخمسون مدينة[5]، والممالك المشهورة التي ضُبط عدّتها في خلافة المأمون ثلاثمائة وثلاثة وأربعون مملكة، أوسعها ثلاثة اشهر، وأضيقها ثلاثة أيام.

وذكر أهل الهيئة إن عند خط الإستواء ربيعين وصيفين وخريفين وشتائين في سنة واحدة، ويكون بعض البلاد ستة أشهر ليلاً بلا نهار، وستة اشهر نهاراً بلا ليل، وبعضها حَرٌ، وبعضها بَردٌ. وذكر أبو الرَّيحان الخوارزمي[6]: إن كرة الارض أربعة أرباع، رُبعان جنوبيان، ورُبعان شماليان، فالرُبع الشمالي المسكون يسمَّى رُبعاً مسكوناً، والربع المسكون يشمل على البحار والجزائر والانهار والجبال والمفاوز والبلدان والقرى، على أن مابقي منها تحت القطب الشمالي قطعة غير مسكونة [و4أ] من إفراط البرد وتراكم الثلوج. وأما ماعدا هذا الربع المسكون فالبحار الزاخرة، والجبال الشامخة، والأهوية المُفرطة التغيير في الحر او البرد، والظلمة من

---

(1) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، أو الأسيوطي، المتوفى سنة 911هـ. ولم نقف على أي كتاب من كتبه ينقل المؤلف.

(2) هو الإمام محدث أصبهان عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري، المتوفى سنة 469هـ.

(3) عالم من أهل بيروت، عد: من أفاضل أهل زمانه ثقة وإتقاناً وفضلاً وخيراً». توفي سنة 130هـ.

(4) في الهامش : مطلب في مقدار بلاد ياجوج وماجوج والحبشه وغيرهما.

(5) في الهامش: مطلب في عدد البلدان.

(6) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المتوفى سنة 440هـ.

ناحية الشمال، تحت مدار بنات نعش، فإنَّ البرد هناك مُفرطٌ جداً، لأن ستة أشهر هناك شتاءً وليلاً، فيظلم الهواء ظُلمة شديدة، ويجمد الماء لشدة البرد فلا حيوان هناك ولا نبات، وفي مقابلتها من ناحية الجنوب مَدار سُهَيل يكون ستة أشهر صيفاً نهاراً كله، فيحمي الهواء ويصير ناراً سموماً، يُحرق كل شيء فلا نبات ولا حيوان هناك. وأما جانب المشرق فيضع البحر والجبال الشامخة، فاذا تأملت وجدت الناس في هذا الربع محصورين.

الباب الاول

في ذكر ملوك الفرس. وفيه أربع طبقات:

الطبقة الاولى في الفيشدادية

ومعناه أن (أول سيرة العدل)[1]. ولما كثرت أولاد آدم عليه السلام اختار منهم شيئا لحفظ الدين، وكيمورث لحفظ أمور الدنيا. ثم تولى بعده ابنه هو شيخ ونبي مدينة بابل والسوس، وعقد على رأسه التاج[2]، وبابل اسم مدينة كبيرة كانت على شاطيء نهر الفرات، بها ألقى ابراهيم -على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام- في النار، ثم خربت وصار في موضعها قرية، وذلك في قديم الزمان، (والآن ينقل الناس آجُرَّها)[3]. بها جُب يعرف بجُب دانيال -عليه السلام- يقصدها اليهود والنصارى في أوقات من السنة وأعيادهم، ذهب اكثر الناس الى أن ببئرها هاروت وماروت[4]. ومنهم من ذهب الى أن بابل بأرض العراق كلها، ومن عجائبها ما ذكر أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- [و4ب] سُئل دهقان الفلُوجة عن عجائب بلاده عجائب بلادنا كثيرة، أعجبها أمر المُدن السَّبع، في كل مدينة أعجوبة[5].

أما المدينة الأولى كان الملك ينزلها، وفيها بيت، وفي ذلك البيت صورة بقراها وبساتينها وأنهارها، فمتى امتنع أهل بلد من حمل الخراج، خَرَق أنهارهم في تلك الصورة وغَرَّق زروعهم، فحدث بأهل تلك البلدة مثل ذلك حتى رجعوا عن الامتناع، فيسد أنهارهم في الصورة فينسد في بلادهم.

المدينة الثانية كان فيها حوض عظيم، فاذا جمع الملك قومه حمل كل واحد معه شراباً يشربه عند الملك وصبَّه في ذلك الحوض، فإذا جلسوا للشرب شرب كل واحد شرابه الذي كان معه وحمله الى منزله.

---

(1) كلمة غير واضحة على الهامش.

(2) تاريخ القرماني ص334

(3) العبارة للمؤلف وليس من القرماني الذي ينقل منه، ومن المعلوم أن مدينة الحلة الإسلامية بنيت من قطع الآجر المنقولة من بابل الأثرية، عبر قرون عديدة، ولما تزل بعض جدرها ترى فيها الكتابات البابلية بالخط المسماري.

(4) القرماني 433.

(5) في الهامش: مطلب في عجائب المدن السبع.

المدينة الثالثة كان على بابها طبل مُعلّق، فاذا غاب إنسان من أهل تلك المدينة والتبَسَ أمره ولم يُعلم أحيٌ هو أو ميت، دقّوا ذلك الطبل على اسمه، فان كان حياً ارتفع صوته، وإن كان ميتاً لم يُسمع منه صوت.

المدينة الرابعة كان فيها مِرآة من حديد، فإذا غاب رجل عن أهله وأرادوا أن يعرفوا حاله التي هو فيها أتوا إلى تلك المِرآة على اسمه، ونظروا فيها، فرأوه على الحالة التي هو فيها.

المدينة الخامسة كان على بابها عمود من نحاس، وعلى رأسه أوزة، فإذا دخلها جاسوس صاحت صيحة سمعها أهل المدينة، فعلموا أن جاسوساً دخل اليهم.

المدينة السادسة كان على بابها قاضيان جالسان على طَرَف ماء، فإذا تقدم اليها خَصْمان قرءا شيئاً وتفلا على أرجلهما وأمراهما بالعبور، فغاص المُبطل في الماء دون المُحق.

المدينة السابعة كانت بها شجرة كبيرة [و5أ] الأغصان، فاذا جلس تحتها واحد ظلته إلى ألف نفسٍ، فإذا ازداد على الألف واحد، صاروا كلهم في الشمس.

وروي عن مجاهد(1) -رحمه الله تعالى- كان يحب أن يسمع الأعاجيب، ولم يسمع بشيء من الأعاجيب إلاّ سار اليه وعايَنه، فقدم أرض بابل، فلقيه الحجاج وسأله عن سبب قدومه، فقال: حاجة الى رأس الجالوت(2)، فارسله إليه وأمره بقضاء حاجته، فقال له رأس الجالوت: وما حاجتك؟ قال: أن تُريني هاروت وماروت(3)، فقال لبعض اليهود: إذهب بهذا وادخله الى هاروت وماروت لينظر

(1) مجاهد بن جبر هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي، ولد سنة 21 وتوفي سنة 104 . أمام وفقيه وعالم ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في تفسير وقراءة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. روى عن ابن عباس، كما عرض عليه القرآن ثلاث مرات، وروى مجاهد عن عائشة وعن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وعن أبي سعيد الخدري.

(2) رأس الجالوت لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده. نشأ هذا المنصب في القرن الثاني بعد الميلاد، وانقرض في القرن الثالث عشرالميلادي أو حتى بعد ذلك.

(3) في الهامش: مطلب في هاروت وماروت. وفي سورة البقرة 102(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ

اليهما، فانطلق حتى أتى موضعاً، ورفع صخرة، فاذا شبه سَرْداب، فقال له: انزل وانظر اليهما ولا تذكر الله تعالى، فنزل مجاهد معه، فلم يَزَل يمشي به اليهودي حتى نظر اليهما، فإذا هما مثل الجَبَلين العظيمين منكوسَين على رؤوسهم، وعليهما الحديد من أعقابهما إلى رُكَبهما مُصفَّدين، فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه فذكر الله تعالى، فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فخَرَّ اليهودي ومجاهد على وجهَيهما[1]، فلما سَكنا رفع اليهودي رأسه، وقال لمجاهد: أما قلتُ لك لا تفعل ذلك لا تهلك؟ فتعلق مجاهد به، ولم يزل يصعد به حتى خرجا، انتهى.

ثم[2] هلك هوشنج، وتولى بعده ابنه طمورث، ثم هلك وتولى بعده جمشيد، معناه شعاع الشمس، سُمِّي بذلك لاضاءة وجهه، وملك الاقاليم السبعة، وأحدث النيروز، ثم قتله ضحاك، معناه دهاك اي عشرة عيوب، فلما عرف قيل الضحاك، وبسط يده بالقتل، وسن الصلب والقطع، وكان على مَنكبَيه [و5ب] حَيَّتان تضطربان، إذا جاعتا لا تسكتان حتى تُطعما بدماغ الإنسان وكان يَذبح لهما كل يوم رَجُلين [من] اللذين كانوا يستحقون القتل، فلما تمَّ من كان في السجن أمر بأن يجمع العامة، وكانوا يقرَعُون القُرعة على أهل الأمصار والقرى، فمَن وقع عليه أخذوه، وكان لرجل حدَّاد يقال له كابي أربعون ولداً[3]، فلم يزالوا يذبحون من أولاده حتى لم يبقَ سوى ولدٌ واحد، فلما أرادوا ذبح ذلك الولد أخذ كابي عصا طويلاً وعلَّق بطرف الجلد الذي يتوقى بالنار ورفعه وصاح الناس، فاجتمع عليه خلقٌ كثير وهرَّب الضَّحاك، ثم تولى مكانه فريدون بن أتقيان، وبقي ذلك العَلم مُعظَّماً عند الفُرس لا ينشرونه إلاَّ في أمور عظيمة، وهو الذي صار في المسلمين في وقعة القادسية.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).

(1) في الأصل: وجههما.

(2) من هنا يلخصه من تاريخ القرماني ص 337-338.

(3) في الهامش: مطلب حكاية كابي الحداد.

وكان إبراهيم -عليه السلام- في أواخر أيام الضَّحَّاك، وكان لأفريدون أولاد ثلاثة، ايرج وشيدرم وطوخ، فقسَّم البلاد على أولاده الثلاثة، فجعل لايرج العراق والهند والحجاز، وجعله صاحب السرير، وأعطى الشرم الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب، وأعطى لطوخ الصين والترك والشرق. فلما مات فريدون وثب طوخ وشرم على ايرج فقتلاه، ثم ان ابن ايرج منوجهر قتل عمَّيه شرم وطوخ، وقوي أمره واستولى على البلاد كلها، وهو أول من حفر الخنادق[1]، وآفرسياب ولد الطوخ وإليه تنسب الترك لجمع العساكر، وحارب مع منوجهر وحاصره بطَبَرستان، ثم اصطلحا وضربا بينهما حَداً لايتجاوزه أحدٌ منهما، وهو نهر بَلخ، ثم ظهر زاب وهو من أولاد منوجهر بن ايرج، [و6أ] فطرد أفراسياب عن مملكة فارس، حتى رَدّه إلى بلاد الترك، وسمى السواد نهراً أو سماه زاب باسمه، ثم تولى بعده كرشاسب وهو من أولاد طوخ وهو آخر من تولى من الطبقة الفيشدادية[2].

الطبقة الثانية الكيانية[3]:

ولما هلك كرشاسِب ملك بعده كيقباد بن زاب، وهو أول ملوك الكيانية، وكان يسكن بقرب نهر جيحون يمنع الترك عن العبور الى أرض فارس، وقيل: كان في زمانه من الأنبياء حزقيل وإلياس واليسع وشموئيل عليه السلام، ثم كيقباد هلك، وقام مقامه ابنه كيكاوس بن كيقباد، وسكن بمدينة بلخ، وولد له ولد بديع في الجمال، وكان يفتن بحبه، سماه سياوش[4]، وسلمه الى رستم الشديد الذي كان نائبا على بلاد سجستان، فربّاه وأدبه رستم حتى صار في غاية الادب في الفروسية، ولما قدم به الى أبيه امتحنه وأعجبه، ثم أنه كان لا يزال لأبيه كيكاوس زوجة بارعة الجمال بنت افرسياب او غيره ملك الترك وهي غير أم سياوش، فعشقت سياوش ودامت منه المُواصَلة، فأتى سياوش منها، فخافت منه فقعدت لهلاكه عند أبيه، فأرسله أبوه في جيش كثير إلى عدو له، فلما التقى سياوش بالعدو انتظم الصلح بينهما من غير حرب، فكتب سياوش إلى أبيه بخبر الصلح فلم

---

(1) في الهامش: مطلب أول من حفر الخنادق.

(2) القرماني ص339.

(3) القرماني ص 339-

(4) في الهامش: مطلب سبب القتال بين الفرس والترك.

يَرضَ به، فرأى سياوش نقض العهد عارٌ عليه فعقد الى آفراسياب وملك الترك. وزوَّجه افراسياب ببنته، وحبلت البنت منه، فغدر آفراسياب به وقتله خوفاً منه لمَيل الناس إليه، واجتهد آفرسياب في إسقاط الولد فلم يمكنه، وأمر قيزان وهو أكبر أمرائه أن تكون ابنته عنده، حتى إذا وضعت الحمل يقتل الولد. فلما ظهر الولد امتنع قيزان من قتله، وأمر أمره فبقي عنده قيزان حتى بلغ أشده.

ولما سمع كيكاوس بقتل ابنه سياوش[1]، وإنه وُلد له وَلَد من بنت آفراسياب تَحيَّل في ذلك، وأرسل قوماً شُطّاراً في زي تُجّار بالمال، وأمرهم بسرقة ولد سياوش وزوجته، فسرقوهما وأحضروهما. وكان اسم الولد كيخسروا، وكيكاوس كان عقيماً، فقرر الملك لولد ولده كيخسروا، وقصد كيخسروا ملك الترك مطالباً بثأر أبيه سياوش، فجرت بينهما حروب كثيرة، وظفر كيخسروا بآفراسياب وأوثقه في حديد القيد، ووبَّخه على غدره بأبيه، ثم ذبحه.

فلما استقر كيخسرو بالملك مدة، زَهَد وخرج عن الدنيا، وعيَّن مكانه أعظم قواده بهراسف[2]، ويقال انه ابن اخى كيكاوس، وسكن ببلخ لقتال الترك، وكانت مدة كيخسروا ستين سنة، وكان ذلك في أيام سليمان بن داود عليهما السلام. وكان بَخْت نُصَّر في زمان بهراسيف، كان عاملاً من جانبه على العراق والأهواز وعلى الروم تولى سبعاً وخمسين سنة، وسبب تسميته بَخْت نُصَّر أنه وجدوه عند صنم اسمه نصر، ولم يعلم بأبويه، وكلبة تُرضِعه اسمها بخت، فسمى باسمها بخت نصر[3].

وغزا بيت المقدس في ستمائة ألف راية، وقتل بني اسرائيل وأفناهم، وأخرب المسجد والمدينة، واحتمل منه ثمانمائة عجلة ذهباً وفضة وجواهر ونقله الى مدينة رومية. ثم أمر جنده أن يملأ كلٌّ واحد منهم تِرسه تراباً ويقذفه في المدينة حتى مُحيَت آثارها، ثم أمر جنده أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس [و7أ] فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني اسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي، فلما أراد

(1) كتبه المؤلف بالياء، وفي القرماني بالباء المثلثة.

(2) في الهامش: مطلب في بهراسف.

(3) في الهامش: مطلب في بخت نصر وغزواته لبيت المقدس.

أن يقسم الغنائم في جنده، قال له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك الغنائم كلها، واقسِم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم، ففعل ذلك، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمةٍ. وكان من أولئك الغِلمة دانيال وحنانيا عليهما السلام.

وفرَّق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرقٍ فثلثاً قتلهم، وثلثا سبى، وثلثاً أمسى بالشام، وكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزل الله بها بني اسرائيل بظلمهم، وكان بين بناء داود، فإنه هو الذي أنشأ بناء بيت المقدس، واتجه ابنه سليمان عليهما السلام، إلى تخريب بخت نصر، أربعمائة وأربعة وخمسون سنة، ولم يَزَل بيت المقدس خراباً إلى أن بناه ملك من ملوك فارس، يقال له كوشك، ووقتئذ مرّ به عزير عليه السلام، فقال: انى يُحيي هذه الله بعد موتها!. وبيت المقدس عُمر ثلاث مرات، الاول بناه كوشك، الثاني بناه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الثالث وليد بن عبد الملك بن مروان، وهو الآن على ذلك الحال.

فلما هلك بخت نصر تولى مكانه ابنه أولاق، ثم هلك وتولى مكانه ابنه بلطاش، ثم قتل وانقرضت ذرية بخت نصر، ثم ان بهراسف فارق المُلك واشتغل بالقيادة، واستخلف ابنه كيشاسب وقيل اسمه يشاسب، وظهر في أيامه زرادشت الحكيم مؤلف كتاب دين المجوس[1]، وكان من تلامذه عُزَيْر عليه السلام، سمعه وقرأ عليه، ثم خالفه، فدعا عليه عُزَيْر عليه السلام، فتمجس وألف كتابه المذكور في اثني عشر مجلد، كل مجلد [و7ب] في جلد ثور تحمله عجلة، وسماه ناسيا، ومعناه في العجمة لم يعرف معناه، إلاّ من المُفسر[2].

أباح في كتابه تزويج الأم والأخت والبنت، وأمر بعبادة النيران. قيل: انه كان من شير، فذهب الى جبل سيلان معتزلاً عن الناس، وأتى كتابه المذكور يدعي النبوة إلى كيشاسب بن بهرا اسف ملك الفرس، واراد الوصول فلم يمكن من ذلك، وكان كيشاسب جالساً في ايوان فانشق سقف الآيوان، ونزل زرادشت منها، فالناس الذين كانوا عند الملك ما بين هارب ومُغشي عليه، والملك ما تحرك من مكانه،

---

(1) في الهامش: مطلب في زرادشت نبي المجوس.

(2) ا القرماني ص 350

وقال: من أنتَ؟ فقال: زرادشت! اني رسول الله اليكم. فقال الملك: وإن رأينا هذا العجب، يعني النزول من السقف، لكن لا نقتصر على ذلك بل عندنا علماء وحكماء يناظرونك، فإن شهدوا لك الحق اتبعناك، فرضى زرادشت، والملك أمر العلماء والحكماء في ذلك الزمن أن يسمعوا كلامه ويعرفوا الملك، فسمعوا كلامه وقالوا للملك: سمعنا كلامه، وإنه مستقيم ولم يبق إلاّ شيء واحد، وهو طلب معجزة على نبوته، فقالوا: اخترنا أن نَطلي بَدَنه بما أردنا من الأدوية، ونأخذ شيئاً من النحاس المُذاب ونشد وثاقه، ونصب ذلك القَطر عليه، فإن تلف فقد كُفينا أمره، وإن سلمَ من ذلك يجب علينا متابعته، فرضي زرادشت بذلك، واختار الملك ذلك الرأي، فعرّوه وشدُوا وثاقه، وصَبُوا عليه قطراً فصار القطر كُرات، وتشبث بكل شعرة كرة، وما ضرَّ به شيئاً، ومع المجوس من تلك الكرات [و8أ] يتبركون بها فعند ذلك قالوا: لم يبق إلاّ إجابة دعوته، فأمر كيشاسب في جميع مملكته ببناء بيوت النار، وجعل النار قبله إلهاً، وبقيّت تلك المِلَّة إلى مبعث النبي المُجتبى الحبيب المرتضى محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم.

وجرى بين كيشاسب خرزاسب ملك الترك حروب عظيمة بسبب دخوله في دين زرادشت. ولكيشاسب ولد يقال له اسفنديار مَلكَ وخلَّف ولداً يقال له ازدشير بهمن متزوجاً بابنته جماني، وذلك حلال في دين المجوس، فتوفي بهمن وهي حاملة منه بدارا، وكان قد سألت بهمن أن يعقد التاج على ما في بطنها ويخرج سامان من الملك، وأجابها إلى ذلك، وأوصى أكابر دولته ففعلوا ذلك. وعظم على ساسان تولية ابن اخيه، فلحق باصطخر وتزهَّد وتجرَّد من الملك، واتخذ غنماً، وتولى رعيها بنفسه. وجماني المذكورة وضعت ولداً سمَّته دارا، ولما بلغ دارا أشُدَّه ضَبَط مُلكه ضبطاً شديداً، وولد له ولد سماه دارا باسمه، ثم هلك وولي بعده ابنه دارا، وكان حَقوداً ظالماً فتفرَّقت قلوب الخاصة والعامة منه.

وفي زمانه تملك الإسكندر بن فيلسوف[1] مملكة فارس، وهي الناحية المشهورة التي يحيط بها من شرقها كرمان، ومن غربها خوزستان، ومن شمالها مفازة خراسان، ومن جنوبها البحرين، تدعى بفارس بن الأنور بن سام بن نوح عليه السلام. وهذا

---

(1) كذا في الأصل، ولعله قد حرف عن فيليبيوس. وفي الهامش: مطلب في الإسكندر بن فيلسوف.

الإسكندر هو الإسكندر الثاني شبّهوه بالاسكندر الأول لأنه [و8ب] ذهب الى الصين والمغرب ومات وهو ابن ثلثٍ وثلاثين سنة، والأول كان مؤمناً، والثاني على مذهب استاذه ارسطاطاليس، وبين الأول والثاني دهر طويل، وكان موسى عليه السلام قبل هذا الاسكندر بألف سنة، وعيسى عليه السلام ظهر بعد موته.

وكان الروم يؤدّون الأتاوة في كل سنة الى ملك فارس، فأرسل دارا الى الإسكندر ليؤدي الأتاوة فامتنع منها، وقصده بجيشه، ولما دنى الإسكندر من دارا جاء إليه بعض من يخص بدارا وشكوا اليه من دارا وشجعوه عليه، وطال بينهما القتال، وكان موضع القتال ببلاد الجزيرة، واقتتلا سنة كاملة، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا الى الإسكندر، فأمر الإسكندر بقتلهما، وقال: هذا جزاء من يعمل بأستاذه، وصار مُلك دارا الى الاسكندر بن فيلسوف(1).

الطبقة الثالثة الاشغانية

وهم ملوك الطوائف، وكان أمرُهم أن الإسكندر لما غلب على الفرس، وأسر ملوكهم وعظمائهم، قتل منهم جماعة واراد قتل الباقين عن آخرهم، فمنعه أرسطاطاليس، وقال: الرأي أن تمتلك عدة منهم على الفرس فيقع التشاجر والتباغض فلا يجتمعون، فتأمن اليونان من غايتهم. فمال الإسكندر الى ذلك، وملك كبار الفرس عشرين ملكاً على الفرس، وهم المُسَمَّون بملوك الطوائف، واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة سنة واثني عشر سنة.

وعدة ملوك الطوائف تزيد على[و8أ] تسعين ملكاً، ولم يشتهر منهم إلاّ الاشغانية، فأول من اشتهر منهم اشغا بن اشغا(2)، وقيل: امك بن اشكان، ثم ملك بعده سابور بن شغان، وكان مولد المسيح –عليه السلام– في زمانه، فلما هلك تولى بعده بيزن، ثم ملك بعده جور، ثم ملك بعده جودوك، ثم ملك بعده هرمز، ثم ملك بعده أردوان، ثم ملك بعده خسرو، ثم ملك بعده أردَوان الأصغر، وظهر أمر أردشير بن بابك، وقيل: اردَوان، وانقرضت ذُرِّية الاشقانية.

---

(1) القرماني ص351

(2) في القرماني اشغا بن اشغان.

الطبقة الرابعة الساسانية[1]

وهم الأكاسرة، أولهم أزدشير بن بابك، وهو ولد ساسان بن أزدشير بهمن المُقدَّم ذكره، وعدَّة ملوك الساسانية من أزدشير بن بابك الى يزدجرد المقتول في زمن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ثلثون ملكا منهم امرأتان، وقيل إثنان وثلثون ملكاً، وأزدشير هذا هو أبو الملوك الساسانية جميعاً، ولم يبق ملك غيره، وقوي أمره وأغار على ملك كان من ملوك الفرس وقتله مع ابنه، ثم أسر أخته، وكانت تُخجِل البَدر عند الكمال والشمس قبل الزوال، فاتخذها لنفسه[2]، فلما رآها قال لها: أنتِ من بنات الملوك، قالت: بل من خَدَمَتهم، فحملت منه، فلما علمت بالحَمل أشهرت نفسها وقالت: أنا ابنة الملك، فخاف أزدشير من ضَرْها لئلا تتذكر قتله[3] فتستوي في طلب الثأر عليه، فأمر شيخاً يقال له جندبابان[4] يُودعها بطن الأرض اشارة الى قتلها، فحملها إلى منزله، ووقع في صعب الأمر ومشكله، وقالت المرأة للشيخ: أمهلني إلى أن أضع الحمل ثم افعل ما بدا لك، فرأى [و9ب] الشيخ الرأي في التأخير، فعمل لها سرداباً تحت الأرض، وجعلها فيه، ثم عمد الى مذاكيره فقطعها ووضعها في حُقٍّ وختم عليه، ورجع الى الملك، وقال قد أودعتها بطن الأرض ودفع اليه الحُق وقال: إن لي فيه وديعة. وتضرَّع إليه أن يرفعها له، فرفعها له وأقامت الجارية إلى أن أخذت عدّتها النهاية فوضعت ذَكَراً غُصن بان مثمراً، فسماه سابوراً، وأقام بتربيته وإصلاح رِضاعه وأغذيته إلى أن بلغ سبع سنين، فركب أزدشير في بعض الأوقات للصيد، ووقع أزدشير في ناحية منفرداً عن عسكره، فعاد في غزالين يسوقان ولداً، فهجم ودنا إليهما وقصدهما، فتركا ولدهما، ففوَّت السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف، فلما رأت أمه السهم داخَلها الوله والهم، فقصدت السهم دون ولدها، واستقبلت نصل كبد القوس، فأراد أزدشير إطلاق السهم من الكبد ليصيب أم الولد، فاعترضه الفحل وتلقاه دون نحرها بنحره، وجعل نفسه وقاية لأم ولدت، وفداها بروحه وجسده.

---

(1) القرماني ص352.

(2) في الهامش: مطلب قصة أم سابور.

(3) في الأصل: قتلها ولا يستقيم المعنى.

(4) في القرماني: جندبان بان.

فتذكر ازدشير ولده وامه، فتضاعف حزنه عليهما هماً وغماً، ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يديه، ورجع متعكزا، وعلى ما فرط متحسرا، ودعا الشيخ جندبابان وذكر له ذلك، وما رآه من الغزالين والولد، فرد الشيخ من عنده وألبس ابن الملك سابور أفخر الملبوس، وجهز أمه كما يجهز العروس، واقبل بهما وعرض كل ذلك عليه، فسُرَّ صدر ازدشير بذلك، ودعا الشيخ الحُق المُودع [و10أ] عند الملك، ففض خاتمه فإذا فيه مذاكير الشيخ جندبابان، وقال: لئلا يجد غائب الى عبيدنا سبيلاً، فأعجب الملك منه، وأفاض عليه خِلَع الإنعام والرْضا والإكرام، فعند ذلك أمر ازدشير الملك أن يعقد التاج لولده سابور، وكان لسانهم الفهلوي، وهي من اللغات التي لم يبق لها مُترجِم.

وكان أزدشير من أهل العقل والمعرفة، وكان قد رَتَّب أصحابه على ثلاث طبقات، الأولى [جعل] مجلسهم عن مجلسه بعيداً نحو عشرة أذرع، والثاني أيضاً على عشرة أذرع، والثالث أيضاً على عشرة أذرع. وكان يقول ما من شيء أضرّ على نفس ملك أو رئيس من معاشرة سخيف، كما أن الريح إذا مرَّت بطِيب حملت طيباً تحيي به النفوس.

ثم ملك بعده ابنه سابور، وظهر في أيامه ماني الزنديق، وادّعى النبوة وتبعه خلق كثير، وكان له كتب جميع الفلسفة لليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية، فرجع سابور عن دين المجوسية إلى مذهب ماني الزنديق، ثم عاد إلى دين المجوسية، ولحق ماني لأرض الهند لأسباب أوجبت ذلك.

وحكى أحمد بن محمد الهِندواني أن سابور بن أزدشير(1) حكم منجموه أن يزول الملك عنه ويشقى ثم يعود إليه، فقال لهم: ماعلامة عَوْد الملك؟ قالوا: إذا أكلت خبزاً من الذهب على مائدة من الحديد، فلما ذهب ملكه خرج وحده، تخفضه أرض وترفعه أخرى إلى أن سار الى قرية اسنفخادر، قرية من قرى همدان ناحية يقال لها ويحر، وأجرَّ نفسه من شيخ القرية يزرع له نهاراً ويطرد الوحش عن الزرع ليلاً، فبقى على ذلك مدة، وكانت نفسُه نفس الملوك، فلما رأى الشيخ أهل القرية منه أمانة وجَلادة زوَّج الشيخ ابنته منه، فلما تم على ذلك أربع سنين

(1) في الأصل: مطلب حكاية سابور.

وانقضت أيام بؤسه، اتفق أن كان في القرية عُرس اجتمع فيه رجالهم ونساؤهم. وكانت امرأة سابور تحمل اليه كل يوم طعامه، ففي ذلك اليوم انشغلت عنه إلى بعد العصر، فلما ذكرت عادت إلى بيتها، فما وجدت إلاّ قرصتين من الدُخن، فحملته اليه، فوجدته يسقي الزرع وبينها وبينه ساقية، فمَدَّ المسحاة إليها، فحملت القرصين عليها، فقعد يأكلها، فذكر قول المُنجّمين: خبز الذهب على مائدة من الحديد، فعرف [أن] أيام البؤس قد انقضت، فظهر للناس واجتمع عليه العساكر، وعاد الى ملكه، فقالوا له: ما أشدّ شيء رأيته علمك في أيام البؤس؟ قال: طرد الوحش عن الزرع بالليل، فصادوا في ذلك الموضع من حُمُر الوحش ما لا يحصى، وامر ان يبنى من حوافرها منارة ارتفاعها[1] خمسون ذراعاً ودورتها[2] ثلثون مضمنة بالكلس والحجارة، وحوافر الوحش حولها مُسمَّرة بالمسامير، والمنارة مشهورة في هذا الموضع.

ثم هلك سابور وملك بعده ابنه هرمز، وكان يلقب هرمز البطل لشجاعته، وبنى مدينة هرمز من كور الأهواز.

ثم ملك بعده ابنه بهرام، ويقال: إنه أتاه ماني الزنديق يعرض عليه مذهبه فصلبه على باب المدينة، وقتل معه توابعه.

ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام، فأقبل في أول ملكه على الخمر واللهو والنزهة [و11أ] والصيد، ولا يفكر [في] ملكه واقطع الضياع لخواصه وخدمه، فخربت البلاد، وكان تدبير الملك مُفوَّضاً إلى وزرائه. وفي بعض الأيام ركب بهرام الى بعض نزهاته وصيده، فلما جُنَّ الليل وهو يسير نحو المدائن، وكانت ليلة مقمرة، فدعا بالموبذان[3]، أعني قاضي قضاة المجوس لأمر، فجعل يحادثه فانتهى

---

(1) في الأصل: ارتفاعه.

(2) في الأصل: ودورته.

(3) في الأصل: بالمؤيدان. وفي الهامش: مطلب قصة المويذان مع بهرام بن بهرام، وقد فسر المسعودي لفظة «الموبذ» بمعنى حافظ الدين. ورجع أصلها إلى «مو» بمعنى «دين» في رأيه، و «بذ» بمعنى «حافظ». ورأى «اليعقوبي» أن «الموبذان» بمعنى عالم العلماء .والموبذ هي من الألفاظ المعربة عن الفهلوية، فهي من أصل فهلوي هو Magupat ، بمعنى عظيم المجوس، ويتمتع هذا الرئيس الديني الأعظم بسلطات دينية واسعة.

المسير بهم إلى خَرَبات، [و] كانت من أمهات القرى قد خَرُبَت في ملكه لا أنيس لها إلاّ البُوم، واذا بوم يصيح وبوم آخر يجاوبه من بعض تلك الخَربات، فقال بهرام للموبذان: هل ترى أحد من الناس أعطي لهم هذا الطائر؟ فقال الموبذان: أنا أيها الملك! فمن خصَّه الله يفهم ذلك، فاستفهمه الملك عما يقول هذا الطائر، فقال: هذا البوم ذكر يخاطب بومة أنثى، وهو يقول لها: متِّعيني نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يُسبِّحون الله تعالى، ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا ويترحمون علينا. فأجابته البُومة: أن الذي دعوتني اليه هو الحظ الأكبر والنصيب الأوفر، إلاّ أني اشترط عليك خصالاً إن اعطيتها أجبتك إلى ذلك، فقال لها البوم الذكر: وما تطلبينه مني؟ فقالت: أن تعطيني من خربات أم القرى عشرين قرية مما خربت في أيام هذا الملك السعيد، فقال الملك للموبدان: وما الذي قال لها الذكر؟ قال الموبدان: من قوله إن دامت ايام هذا الملك اقتطعت لك مما يخرب ألف قرية فما تصنعين بها؟ قالت: إن في اجتماعنا ظهور النسل، وكثرة الأولاد، فيقطع كل واحد من أولادنا [و11ب] قرية من هذه الخَربات، قال لها الذكر: هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر شيء طلبتيه مني، وقدمت الوعد. فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان استيقظ من نومه، فنزل من ساعته، وخلا بالموبذان فقال الموبذان: أيها الملك! ان الملك لا يتم إلا بالشريعة، ولا قوام للشريعة إلاّ بالمُلك، ولا عز للملك إلاّ بالرجال، ولا قيام للرجال إلاّ بالمال، ولا سبيل للمال إلاّ بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلاّ بالعَدل، والعدل الميزان المنصوب بين البرية نصبَه الرب وجعله قيِّما، وهو الملك.

فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين، فأخذ الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردها الى أربابها، وبقوا على رسومهم السالفة، فانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد، لما عمَّ الناس من الخصب وشملهم العدل. وكانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالاً وجواهرَ، وقد كان ساسان أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهباً كثيراً وقذفه في بئر زمزم، فوصل ذلك لعبد المطلب.

ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام، وهو الذي يقال له شاهنشاه.

ثم ملك بعده أخوه ترسى.

ثم ملك ابنه هرمز بن ترسى، ولما مات هرمز لم يكن له ولد، وكانت بعض نسائه حاملاً، فقعدوا التاج على ما في بطنها، فولدت ذكرا اسموه سابور[1]، فلما اشتد ظهر منه نجابة عظيمة من صباه، وكان أول ماظهر منه أنه سمع ضجيج الناس [و12أ] بسبب الزحمة على الجسر الذي على دجلة بالمدائن، فقال: ماهذه الجَلَبة؟، فقيل له: سببه زحام المارين على الجسر، فأمر أن يعملوا على جانب الجسر جسراً آخر ليكون أحد الجسرين للخارجين والآخر للداخلين، فعملوه وزال الزحام، وكان سِنُه إذ ذاك خمس سنين، فعجب الناس من نجابته.

وفي أيام صباه طمعت العرب في بلاده وأخربوها، فلما بلغ من العمر ستة عشر سنة انتخب من فرسان عسكره عدة كثيرة وسار بهم الى العرب، وهم من ولد إياد بن نزار، وملكهم يومئذ الحارث الأغر الإيادي، وقتل من وجد منهم، ووصل الى اليمامة وسفك الدماء، ولم يمر بماء للعرب إلاّ غوّره، ولابئر إلا طمّها، وصار ينزع اكتاف العرب حتى نزع منهم نيف سبعين ألف رجل، فلذلك سمي سابور ذو الاكتاف. وانه دخل الى قسطنطينية متنكراً[2] فعرفوه لأن صورته كانت في أواني صاحب القسطنطينية مصورة، فلأجل ذلك عرفوه ثم حبسوه.

وجاء صاحب القسطنطينية مع جيشه ومعه سابور محبوساً، فخرَّب بلاد سابور وقلع النخيل والثمار، فإذا دنا إلى جندسابور وهو في دار مُلكه، هرب سابور من الجيش بالليل وجاء إلى قومه، ففتح خزائن السلاح، وخرج على الروم فغلبهم، فظفر بقيصرها فأسَرَه ولم يخلص من جنده إلاّ قليلاً. ثم أمر سابور قيصر ومن معه ان يغرسوا بالعراق الزيتون بدلاً مما عقروه، ولم يعهد بالعراق قبل ذلك الزيتون، وأمر ان يعمر [و12ب] ما أخربه من تراب بلده حتى يطلقه، فأمر قيصر رعيته بنقل التراب من بلادهم إلى فارس فبقى قيصر في أسْره حتى أثمر ما أغرس، وعَمَّر ما أخرب ثم اطلقه.

---

(1) في الهامش مطلب في سابور بن هرمز.

(2) في الهامش: مطلب في قصة سابور مع صاحب القسطنطينية.

وقد كانت ملوك الساسانية تسكن بطلموس غربي المدائن، فسكن سابور في الجانب الشرقي وبنى هنالك الإيوان المعروف بايوان كسرى، الباقية آثاره إلى يومنا هذا. ثم مات سابور وعمره اثنين وسبعين سنة، ومدة ملكه كانت من عمره الى ان مات.

ثم ملك أخوه ازدشير.

وتولى بعده سابور بن سابور.

ثم ملك اخوه بهرام بن سابور.

ثم ملك ابنه يزدجرد، فلما مات أبوه ولى شخصاً يسمى كسرى من ولد ازدشير، فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بنعمان، ووقع بينهما مراسلات كثيرة، ثم اصطلحا على أن يحمل التاج بين أسدَين مع شبلين، فمن تناوله فهو الملك. فلما حضرا كلاهما الموعود دخل بهرام على أحد الأسدين فعصره بفخذيه، ثم تناول الآخر من أذنيه فلم يزل يضرب رأس أحدهما بالآخرحتى قتلهما، فأخذ التاج ولبسه واستقر.

وكان صوّالا على الأعداء، وكان يقول الشعر بالعربية، ومن شعره يوم ظفر بخاقان الترك:

أقول لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام
وإني حامي مُلكَ فارس كلها ... وما خير مُلكٍ لا يكون له حام

بنى منارة من قرون الظبا وحوافر حُمر الوحوش[1].

ثم ملك ابنه يزدجرد بن بهرام، وأحضر حين ملك رجلاً فاضلاً من حكماء عصره، وقال له: ما إصلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية، وأخذ الحق منهم من غير مشقة، [و13أ] والتوادد اليهم بالعدل وانصاف المظلوم من الظالم، قال: فإصلاح المَلك؟ قال: وزرائه وأعوانه إن صلحوا أصلح، وإن فسدوا فسد. فسار سيرة حسنة.

ثم ملك بعده ابنه هرمز، فهرب أخوه فيروز إلى ملك الهَياطلة خشفواز، وهم بين خراسان وبين بلاد الترك، فظفر فيروز بأخيه هرمز، ثم قتله.

---

(1) القرماني ص357.

ثم تولى ابنه بلاش، ثم ملك ابنه قُباد، وكان ضعيفاً مَهيناً على مُلكه. وفي أيامه ظهر مَزدَق الزنديق، وتفسير مَزدَق جديد الملك، واليه تُضاف المزدقية. وادَّعى النبوة، وأمر الناس بالتساوي في الأموال وأن يشتركوا في النساء، لأنهم إخوة لأب وأم من آدم وحوَّى. ودخل قباد في دينه، فخلعوا قباد وولوا أخيه جاماس. ثم ملك ايضاً قباد، ثم ملك ابنه نوشروان، فأمر بقتل مَزدَق الزنديق، فقتل بين يديه وقتل توابعه جميعاً. وولد النبي – صلى الله عليه وسلم– في زمانه، فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولدتُ في زمن الملك العادل كسرى نوشروان. وكان وزيره بُزرجُمهُر، ثم ملك ابنه هرمز، فغلب عليه بهرام جوبين لأنه كان كالخشب اليابس، فجاء اليه فيروز وسَمَل عين أبيه ثم قتله. ثم ملك بعده فيروز، وهو الذي أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومزَّق كتابه الذي مع دحيَّة الكلبي، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزِّق الله ملكه كل مُمزَّق كما سيأتي في الفصل الاول من الباب الثاني. وكان لفيروز إحدى عشر ألف جارية، وستة ألف خادم وحارس، وعشرون الف وخمسمائة فرس، واذا خرج [و13ب] للصيد صُفَّت الجيوش، وفيها صف لألف فيل، وقد أحدقته خمسون ألف فارس دون الرجال، فلما رآه الفيلة سجدت لله، فما رفعت رؤسها حتى ضربت بالمجاجين[1]، وكان حين يركب يمشي معه مائتا إنسان معهم المجامير والمعاطر ليشم الروائح الطيبة. وكان الف إنسان برسمون[2] رش الماء في الطريق لاطفاء الغبار، وكانت له قطعة ذهب ليِّن كالشمع يصنع منها ما يريد من غير ماس النار، وله قطعة إذا شرب ماءها تمتلىء بنفسها من غير أن يملأها أحد. ثم قتله ولده شيرويه.

ثم ملك بعد شيرويه ابنه ازدشير، ثم قتل، وملك شهريار، ووثب عليه جماعة فقتلوه، لأنه كان من غير بيت المملكة. وولوا الملك بَوَرَانة بنت كسرى برويز، ثم ملك بعدها خُشنشُد من بني عم كسرى برويز. ثم ملكت بعده بنت برويز ازويدخت، ثم ملك بعدها فيروز بزعم أنه من نسل نوشروان ثم ملك بعده فرخ زاده خسرو من أولاد نوشروان وبه انقرضت الفرس على الأصح.

---

(1) جمع مِجَن وهو الترس.

(2) الأصح: برسم.

ثم ملك بعده يزدجرد بن شهريار الساساني، وكان مختفياً، وضعف ملك فارس، واجترأ عليه أعداؤهم، وغزا المسلمون بلادهم. وكان رستم الشديد الأرمني وزيره، وقائد جيوشه، فقال لرستم الأرمني: خُذ من الخزائن السلاح والعساكر واكفني أمر العرب، فذهب رستم في مأئتي ألف فارس يدور عن العرب، ونقضت دهاقنة العراق عهودهم من المسلمين، فوصل الخبر إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق -رضي الله عنه- فوجه العساكر المنصورة [و14أ] من المدينة المحمدية مستمداً من الحضرة النبوية - صلوات الله وسلامه عليه- وسعد ابن أبي وقاص صاحب الجيش، فلما التقى الفريقان اقتتلوا أياما فهرب رستم الأرمني ورمى نفسه في نهر العقيق، فاقتحم هلال بن علقمة -رضي الله عنه- النهر، فأخرجه منه الى البر فقتله، ثم صاح: قتلت رستم ورب الكعبة. وفي المُستطرَف[1] أن عمرو بن معدي كرب الزبيري، صاحب الصمصام، حمل يوم القادسية على رستم[2]، وكان رستم على فيل، فضرب عمرو الفيل وقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه، وخرج كان معه وفيه أربعون الف دينار، فقتل رستم وانهزمت العجم، وانهزم يزدجرد الى أرض الجبال، وبعث خزائنه إلى الصين، ولم يجتمع بعد ذلك شملهم، وغزا المسلمون بلادهم في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم قتل يزدجرد، وهو آخر ملك من ملوك الفرس، لكن ما كان من أهل الملك، وكان اولى آخر ملوك الفرس فرخ زاده خسرو، لأنه كان من أولاد نوشروان، وبه زال ملكهم زوالاً لا يُرجَّى له القيام.

جاء في التواريخ[3] أن الفرس ملكوا أمر العالم أربعة ألف سنة، كان أولهم كيمورث وآخرهم يزدجرد المذكور، زعم الفرس أن فيهم عشرة أنفس لم يوجد في شي من الأصناف مثلهم، ولا في الفرس أيضاً، أولهم أفريدون بن اتقيان، ملك الأرض كلها، وملأها من العدل والإحسان بعد ماكانت مملوءة من العنف والجور

(1) المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المتوفى سنة 854هـ، وما نقله المؤلف من القرماني ص363.

(2) في الهامش: مطلب في واقعة القادسية.

(3) القرماني ص356.

من ظلم الضحّاك، وما أخذ الضحّاك من أموال الناس ردها إلى أصحابها، وما لم يجد له صاحبه وقفه [و14ب] على المساكين. وذكر بعض النُسّاب أن افريدون هو ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه، لأنه ملك المشرق والمغرب، وأمر بعبادة الله تعالى، وكان ذا عدل وإحسان.

وثانيهم الإسكندر الفيلسوف، كان ملكاً عظيماً حكيماً حصل العلوم وعرف علم الخواص وتلّمذ ارسطاطاليس واستوزره، وكان يعمل برأيه، وانقاد له ملوك الروم والصين والترك والهند كافة.

وثالثهم أنوشروان بن قُباد كسرى خيز لكثرة جنوده وعظمت مملكته، هادَنَه ملوك الروم والصين والهند. رُوي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ولدت في زمن العادل كسرى انوشروان، كما مرَّ. ومن عدله ما ذُكر أنه عَلَّق سلسلة فيها جَرَس على بابه ليحركها المظلوم ليعلم الملك حضوره من غير واسطة، فأتى عليه سبع سنين ما حُرِّكت[1].

ورابعهم بهرام بن يزدجرد، يقال له بهرام جور[2]، وكان من أحذق الناس بالرمي، لم يعرف رام مثله. ذُكر أنه خرج متصيِّداً وكان معه جارية من أحسن جواريه، ظهر له سِرب من الظبا قال لها: كيف تريدين إذا رمى ظبية منها؟ قالت: أريد أن تلصق ضلفها بأذنها، فأخذ الجلانيق ورمى بُندقة أصاب أذنَها، فرفعت ظلفها تحك أذنَها، فرمى نشّابه وخاط ظِلفها بأذنها.

وخامسهم رستم زال، ذكروا أنه لم يُعرف فارسٌ مثله. كان من أمره أنه إذا كان في ألف فارس لاقى ألفين غلبهما، وإذا لاقى في خمسة آلاف عشرة آلاف غلبهم، واذا دعاه الى البَراز وخرج اليه [و15أ] القرنُ يرفعه برمحه من ظهر الفرس ويرميه إلى الأرض.

وسادسهم جاماسب المُنجِّم. كان وزيراً لكيشاسب بن بهراسف، لم يعرف مُنجِّم مثله، أخبر بالحوادث التي تَحدُث، وأخبر بخروج موسى عليه السلام، وعيسى عليه

---

(1) القرماني ص359.

(2) القرماني ص 358.

السلام، ونبينا صلى الله عليه وسلم، وزوال الملّة المجوسية، وخروج التُرك ونهبهم وقتلهم، وخروج شخص يقهرهم، وكثير من الحوادث بعدهم، كل ذلك في كتاب يسمى أحكام جاماسب العجمية. وله بعد موته خاصية عجيبة[1]، وهي أن قبره على تل بأرض فارس، وقُدّام التل نهر، فمن زار قبره من الولاة راكباً يعزل. وأكثر الناس عرفوا تلك الخاصية، فإذا وصلوا إلى ذلك النهر نزلوا. وسابعهم بُزُرجُمهر الحكيم بخنكان، كان وزير الأكاسرة، وكان ذا علم وعقل ورأيٍ وفطنةٍ، كان بالغاً في الحكَم الخطابية، ولما وضع الهند الشطرنج بعثوا به هدية إلى كسرى، ولم يذكر كيفية اللعب، فاستخرجه بزرجمهر، ووضع في مقابلته النرد، وبعث به الى الهند.

وثامنهم بلهيد المغني. فاق جميع الناس في الغناء، وكان مغنياً لكسرى برويز، فاذا أراد أحداً أن يعرض أمراً على كسرى أبرويز، وخاف غضبه، ألقى ذلك الى بلهيد، وبذل له حتى جعل لذلك المعنى شعراً وصوتاً، ويغني بين يديه، فيعرف كسرى ذلك الأمر.

وتاسعهم صانع شهير.

وعاشرهم فرهاد الذي نحت ساقية قصر شيرين، وهي باقية إلى الآن.

وكانت عدة الفرس المقتول من كيومرث إلى يزدجرد ثمانين ملكاً منهم ثلاث نسوة)[2].

---

(1) في الهامش: مطلب خاصية قبر جاماسب.

(2) العبارة بين القوسين وردت على الهامش، وذيلت بلفظ (منه) أي من المؤلف نفسه.

[و15ب] الباب الثاني

يتعلق في ذكر ملوك شتى وفيه خمسة وثلاثون فصلاً

الفصل الاول يتعلق في ذكر ملوك الهند

وأول ملك منهم البَهَرمن[1] الأكبر، وفي أيامه ظهرت الحكمة، واستخرجوا الحديد من المعادن، وضُربت في أيامه السيوف والخناجر وأنواع المقاتلة[2]، وولده يُعرَفون بالبراهمة.

ثم ملك ابنه ناهوت[3].

ثم ملك ابنه رامان.

ثم ملك ابنه ذَوّر[4]، وهو الذي حارب الإسكندر فقتله الإسكندر مبارزة.

ثم ملك بعده دابشيم[5]، وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة، الذي ترجمه ابن المقفع بلسان العربية من لسان الهندية.

ثم ملك بعده يلهيب[6]، ووضعت في أيامه الشطرنج.

ثم ملك بعده كُورَش، ولما هلك اختلفت[7] الهند في آرائها، وانفرد كل رئيس بناحية، فملك على أرض السند ملك، وملك على أرض الفتوح، وملك على أرض القشمير، وملك على مدينة الماركين[8]، وهي الجزيرة[9] الكبرى، وملكه يسمى بالبهَراء[10]. ومن عادات ملوكهم وخاصتهم وعامتهم أنهم لا يرون حبس الريح في

---

(1) في الهامش : البهر، وما أثبتناه عن القرماني ومنه ينقل المؤلف.

(2) في الهامش: مطلب في زمان ضرب السيوف والخناجر.

(3) في القرماني: الباهبوذ.

(4) في القرماني: فور.

(5) في القرماني: دبشليم.

(6) في القرماني: بلهيث.

(7) في الهامش: اختلف.

(8) في القرماني: المادكين.

(9) في القرماني: الحوزة.

(10) في القرماني: البلهرى.

أجوافهم، وليس عندهم عيب. وأقبح ما يكون عندهم السُعال والجشاء، لأن الريح واحدة في الجوف، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف تخارجها[1]، فما يذهب صاعداً سمي جَشاء، وما يذهب سُفلى سُمّيَ فسواً. وأكثر أهل الهند يحرقون أمواتهم ويَذَرُون رمادهم الرياح لغرضٍ يذكرونه في المستقبل من الزمان. وإذا مات ملك من ملوكهم أحرق خلقٌ كثير من الناس أنفسهم لموته.

ومن عجائب الهند حجر دموس[2]، فإنه يوجد بالليل ولا يوجد بالنهار يكسر كل حجر ولا يكسره حجر. [و16أ] ومن عجائبها البيس، وهو نبت لايوجد إلاّ بالهند، ثم قاتل، وله حيوان يقال له فأرة البيس يأكل منه ولا يضره. وذُكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بأحد عَمَدوا إلى الجواري[3]، إذا ولدت فرشوا من هذا النبت تحت مهودهن زماناً، ثم تحت فراشهن زماناً، ثم تحت ثيابهن زماناً، ثم يطعمونهن منه في اللبَن، حتى تصير الجارية إذا كبرت تتناول منه ولا يضرها، ثم بعثوا بها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به من الملوك، فإنه إذا غشيها مات.

وبها غنم لها ست آلايا، إحداها على المكان المعهود، والثانية على الصدر والثالثة والرابعة على الكتفين، والخامسة والسادسة على الفخذين.

وبها طائر عظيم الجثة إذا مات اتخذ الناس نصف منقاره مركباً.

ومن عجائبها مدينة إذا دخلها غريب لم يقدر على المجامعة مادام بها، فإذ خرج زال المانع عنه ورجع الى حاله.

وبها بحيرة مقدار عشرة فراسخ في مثلها، وماؤها ينبع من أسفلها. وفي تلك البحيرة حيوانات على صورة الإنسان، إذا كان الليل يخرج منها عدد كثير يلعبون على الساحل ويرقصون ويصفقون، والناس تنظر اليهم في الليلة المُقمِرة، وكلما كان النظار أكثر كان الخارجون أكثر، وبما جاءوا بالفواكه الكثيرة أكلوها وتركوا ما فضل منهم على الساحل، وإن مات منهم أحد أخرجوه من البحيرة وستروا سُرَّته بالطين، والناس يدفنونه، ومادام الميت على الساحل لا يخرج [و16ب] من أحد البتة.

---

(1) في القرماني: مخارجها.

(2) هو الديماس، وقد عربه العرب باسم الآلماس، وباسم الماس.

(3) في الهامش: مطلب في غذر ملوك الهند.

وبأقصاها طير تسمى نَقْنَس، وعند الزواج يجمع هو والأنثى في عشهم حطباً كثيراً، ولايزالان يحكان مناقيرهما بعضهم في بعض حتى ينقدح من بين مناقيرهما نار، فإذا أضرمت واشتعل النار أحرقا انفسهما فيها فصارا رماداً، فإذا وقع المطر على ذلك الرماد يولد منه دود، ثم يكبر فيصير طيراً كاملاً.

الفصل الثاني يتعلق في ذكر ملوك جرجان من بني مرداويج الديلمي(1)

وابو الديلم كلهم من باسل، يتصل نسبه إلى عدنان، فخرج مغاضباً لأبيه، فوقع في أرض الديلم فتزوج امرأة من العجم ولدت له ديلم، وكانوا مجوساً لم ينقادوا إلى مِلَّة، فأسلم بعضهم. وأول من ظهر منهم أبو الحَجّاج مُرداويج بن زياد الديلمي، فقوي أمره وعظمت شوكته، واستولى على البلاد، واتخذ له سريراً من الذهب، وتاجاً مرصعاً بالجواهر، واصطنع كراسي من فضة لخواصه. وكتب أبو مسلم الكاتب الأصفهاني بذلك يُعلم الخليفة المقتدر بالله ، بيت

أرى ناراً تأجَّجُ من بعيد لها في كل ناحية شُعاعُ

فهجم عليه جماعة فقتلوه، وولُوا مكانه أخاه وشمكير بن زياد الديلمي، ثم هلك، وتولى مكانه ولده قابوس(2)، وكان عالماً فاضلاً شاعراً حسن الخط الى الغاية، حتى أن الصاحب بن عباد كان يقول عند رؤية خَطِّه: هذا خط قابوس او جناح الطاووس. وقال المتنبي شعراً [و17أ]:

من خَطِّه في كلِّ قلب شهوةٌ حتى كان مداده الأهْواءُ

ثم تولى مكانه نوشروان شاه، وبه انقرضت دولتهم، واستولى على ملكهم السلطان محمود بن سبكتكين.

الفصل الثالث يتعلق في ذكر بني بوية ملوك العراق

حُكي(3) أن بُوَيْه كان رجلاً فقيراً يصيد السمك، وكنيته أبو شجاع خسرو بن تَمام، وكان من الديلم، ويزعم أن جده بهرام جور أحد ملوك الأكاسرة، فرأى رؤيا في منامه

(1) القرماني ص276.
(2) في القرماني ص268 أن الذي تولى بعد وشمكير ابنه بيتون ثم تولى بعده قابوس.
(3) القرماني ص269 نقلا من السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي.

كأنه يبول، فخرج من ذَكَره نارٌ عظيمة استطالت وعلت، حتى كادت تبلغ السماء، ثم تفرّقت فصارت ثلاث شُعَب، وتولد من تلك الشُعَب عدة شُعَب، فقصّه على مُعَبِّر، فقال المُعبِّر له: يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض! فمضت السنون، وولد له خمسة أولاد، مات اثنان وبقي له ثلاثة أولاد، وهم عماد الدولة ابو الحسن علي بن بُوَيه وهو أكبرهم، وركن الدين أبو علي الحسن، وعضد الدولة أبو الحسين أحمد.

وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم، فملكوا العراقَين والأهواز وفارس، وساسوا أمور الرعية أحسن السياسة، وصاروا خمسة عشر نفر، ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة.

وكان ظهورهم في سنة إثنين وعشرين وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله العباسي، وذلك أن سار عماد الدولة الى مُرداويج فأقبل عليه وقلده إمارة الكُرج، فأحسن السيرة، وافتتح قلاعاً ظفر منها بذخائر كثيرة، فاستمال الناس إليه حتى شاع ذِكره، [و17ب] وقصده الناس وعظم في أعينهم لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل. وبعث أخاه ركن الدين فأخذ كازَرون في ملك شيراز وفارس، وعَظُم شأنه، وقصده الناس من الأطراف، فولّى أمر بغداد لأخيه عضد الدولة ابو الحسين أحمد، وعَيَّن لركن الدين إمارة اصفهان، وهو أقام بمدينة شيراز.

ومن أغرب ما اتفق له(1) أنه لما ملك شيراز اجتمع عساكره وطالبوه بالجَوامك(2) والرواتب، ولم يكن عنده ما يعطيهم، وأشرف أمره إلى الإنحلال فاغتم لذلك، فبينما هو متفكر قد استلقى على ظهره في مجلس أنسه قد خلا فيه للتفكير والتدبير إذ رأى حَيَّة خرجت من موضع من سقف ذلك البيت، ودخلت في موضع آخر، فخاف أن تسقط عليه، فدعا بالفرّاشين وأمرهم باحضار سلم، وأن يُخرجوا الحَيّة، فلما حفروا وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين

---

(1) في الهامش: مطلب غريب اتفق لعماد الدولة.

(2) يذكر دوزي: أن جامكي من جامة: ثوب، لباس. ومعناها الأصلي: المال المخصص للملابس. وجمعها جوامك وجامكي وهي العطاء والراتب والأجرة والوظيفة. وجوامك المدارس أي رواتب المدرسين، ويقال: أعطاه جامكية وعمل له جامكية أي أجرى له راتباً أو وظيفة. تكملة المعاجم العربية ج2 ص27.

السقفين، فعرَّفوه بذلك، فامرهم بفتحها ففتحت فاذا فيها صناديق وجد فيها خمسمائة ألف دينار، فحمل ذلك بين يديه فقسَّمه على رجاله، وأثبت بعد ان اشرف على الإنخرام.

ثم أنه طلب ذات يوم خيّاطاً، فوصفوا له خياطاً كان لصاحب البلد قبله، فأمر بإحضاره، وكان أطرشا[1] ولصاحب البلد كان عنده وديعة، فظن في نفسه أنه سعى به اليه، وإنه يُطلب بهذا السبب، فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى إثني عشر صندوقاً ولم يدر ما فيها، فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها فوجدوا أموالاً وثياباً جميلة عظيمة.

وركب يوما فساخت قوائم [و18أ] فرسه، فحفروا فوجدوا فيه كنزاً عظيماً، وكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته، ثم توفي. وآخر الامر استولى عليهم السلاجقة في زمن خُرّناشاه[2]، وبه انقرض ملكهم وآثارهم.

الفصل الرابع يتعلق في بني سلجوق

وكانوا[3] ذوي[4] أعداد وعُدَد، لا يدينون لأحد، ولا يدنون من بلد، وينتسبون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو سلجوق بن يقاق[5] بن لقمان بن نعمان بن أيوب بن داود، ومعنى يقاق القوس الجيديد[6]. ومبدأ حاله أن ملك الترك لما شاهد فيه النجابة جعله أميراً للجيش، ثم أغرته امرأته بقتله، فهاجر سلجوق من دار الحرب الى دار الإسلام، وأسلم هو وقومه، ثم حصل اتصال بملوك الساسانية، وكان يظاهرهم بمهامهم، فلما توفي سلجوق وخلف ثلاثة[7] بنين: آرسلان وميكائيل وموسى [لعلها: موق] واول من ملك منهم ميكائيل بن سلجوق. ومدة ملكهم مائة وأربعون سنة. واستولى عليهم عثمان خان -رحمه الله- جد سلاطيننا.

---

(1) في الأصل: أطروشاً، وكذا في القرماني.

(2) في القرماني: خسروشاه.

(3) القرماني ص270 نقلاً عن زبدة النصرة ونخبة العصر لعماد الدين

(4) في الأصل: ذا.

(5) في القرماني: دقاق.

(6) كذا مجودة الخط في الأصل. وفي القرماني: الجديد.

(7) في الأصل: ثلاث.

وكان ميكائيل في بخارا[1]، فلما دخل السلطان الغوري محمود الى بخارا، امتنع ميكائيل عليه ولم يَمِل اليه، فاغتاظ السلطان منه فقبضه وعبر به وبأصحابه إلى خراسان، فلما توفي السلطان محمود بعث ولده السلطان مسعود الغوري لقتالهم عسكراً فقتل منهم وأسر. ثم بعد ذلك ركب السلاجقة اليه ودخلوا طوس فملكوها، وامتدوا الى نيسابور فنهبوها، لم يلبثوا حتى عظمت شوكتهم واتسعت رقعة ولايتهم. ثم توفي ميكائيل [و18ب] وتولى مكانه طغرلربك محمد بن ميكائيل، ثم توفي وتولى مكانه ابنه آلب ارسلان، وتوجه الى الحلب[2] والشام، فحلَّ في حلب وشرع في حصارها بأسوارها، وكان صاحب حلب يومئذ محمود بن صالح بن مرداس بن كلاب[3]، وقد بلغ السلطان خروج أرمانوس ملك الروم إلى قرب أخلاط، وكان مع السلطان آلب ارسلان خمسة عشر ألف فارس، فاستعد للمقاتلة، والروم في ثلاثمائة أو يزيدون، فتوكّل السلطان وسار حتى نزل على حافة النهر، وكلب الروم نازل بين اخلاط ومناذكر[4]، وبين العسكرَين فرسخ، فلما أصبحوا يوم الجمعة ارتجَّت الأرض بالضجاج، وأظلمت السماء بالعَجاج، إلى أن ولّى وقت الزوال، وصدحت على أعواد المنابر الخطباء، والمجاهدون في إخلاص الدعاء، تقدم السلطان آلب أرسلان، وثبت فؤاده وقوى قلبه.

وحمل ملك الروم بجمعه، وأخذه ببصر الدهر وسمعه، فثبت لهم خيل الإسلام، وجالت وما وَجَلت، فوقع الحرب والضرب، فأصبحت من أولئك الألوف آحاد، وما سلمت من أعداء الاسلام أعداد، وأُسِر ملكهم، وانكسرت الروم كسرة لا تقبل جبراً.

ثم قتل آلب ارسلان، وتولى مكانه ابنه جلال الدين والدولة أبو الفتح ملك شاه، وكان شجاعاً مقداماً سيرته العدل، وكان يحب الغزو حتى بلغ في غزوه إلى حدود قسطنطينية. ومن جُملة عدله أنه ركب للصيد، فرأى رجلا باكياً شاكياً، فسأله عن سبب بكائه، فقال: اشتريتُ [و19أ] بطيخات، فأخذها رجل من جماعتك مني، فقال له: تعرف ذاك الرجل؟ فقال له: لا، فقال السلطان لبعض

(1) في القرماني: نور بخارا.

(2) كذا يكتبها معرفة بالألف والنون.

(3) في القرماني: من بني كلاب.

(4) في القرماني: منازكرد.

خواصه: قد اشتهيت بطيخاً، وكان البطيخ في أول باكورته، ولا يوجد في البلد، فمازال يطلب البطيخ حتى وجدوه عند بعض أمرائه، فسأله فقال: أحضره عبد من عبيدي فأمر السلطان بإحضار ذلك العبد، فتوقف، فأحضر المتظلم وقال: خذ هذا الأمير فإنه أخذ بطيخك، وانه مملوك وقد وهبته لك فبعه بما شئت، فاشترى الأمير نفسه بثلثمائة دينار. وكان مغرما بالصيد[1]. قيل: أنه أحصى ما اصطاد بيده فبلغت عدة قيمتها عشرة ألف دينار، وبنى منارة من قرون الظبا وحوافر الحُمُر الوحشية في طريق الحج من الكوفة تسمى[2] مئذنة القرون.

الفصل الخامس يتعلق في القرامطة

وهما أبو سعيد وأبو طاهر من أهل البحرين خالفوا ملة الإسلام وقتلوا الحجّاج، ونهبوا سلب الكعبة، وخروجهم سنة خمس وسبعين ومائتين في عهد المعتمد بن المتوكل، وقلعوا الحجر الأسود وأخذوه وبعث إليهم الخليفة العباس العنزي في عسكر كثير، فقتلوا الجميع، وأسروا العباس ثم أطلقوه ليُخبر بما جرى عليهم، وبقي الحجر الأسود عندهم حتى اشتراه المطيع لله بأربعة وعشرون ألف دينار ورده الى مكانه.

الفصل السادس يتعلق في ملوك بني اللخم[3] ملوك العرب[4]

وملوك بني اللخم كانوا في قديم الزمان ملوكاً للعرب، وكان منزلهم الحيرة، [و19ب] وهي مدينة قديمة قرب أرض الكوفة على ساحل البحر، فإن بحر فارس في قديم الزمان كان ممتداً الى أرض الكوفة، والآن لا أثر للمدينة، وهم الذين رثاهم الأسود بن يعفر في قوله:

ماذا أؤمل بعد آل مخرّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد

---

(1) في الأصل: للصيد.

(2) في الأصل: يسمى.

(3) في الأصل: اللحم.

(4) القرماني ص344.

نزلوا بأسرة تسيلُ عليهم ماء التراب بحي من اطواد
أرض تخيَّرها لطيب مقيلها كعب بن ماجة وابن أم دراد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد عَنوا منها بأنعم عيشة في ظل مُلك ثابت الأوتاد
ماذا النعيم وكلما يلقى به يوماً يصير إلى بَلى ونَفاد

وملوك بني اللخم هم ملوك كِندة، بأرض بكر بن وائل، أولهم حُجر بضم الحاء من أولاد سبأ، ثم ملك ابنه عمرو، ثم ملك ابنه الحارث، وهو ابو امرء القيس الشاعر(1).

ثم ملك امرؤ القيس(2)، ثم أن أمرؤ القيس مات مسموماً، سَمَّهُ قيصر، ودفن الى جبل بقرب أنكورية يقال له عسيب في سفحه، وقبره هناك. ثم ملك ابنه المنذر ذو القرنين. والغريبان بناءان كالصومعتين(3) كانا بظهر الكوفة قرب مشهد رابع الخلفاء علي رضي الله عنه، بناها المنذر بن امرء القيس، وسببه أنه كان له نديمان من بني أسد فثملا فراجعا الملك ببعض كلامه، فأمر وهو سكران أن يحفر لهما حفرتان ويدفنا فيها حيين، فلما أصبح استدعاهما فأُخبر [و20أ] بما أمضى فيهما، فعند ذلك قصد حفرتيهما وأمر ببناء قبر باللبن عليهما، وقال: لا تمر وفود العرب إلاّ بينهما، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم، يذبح في يوم بؤسه من يلقاه ويطلي بدمه الطربالين، فإن وقعت لهما الوحش طلبتها الخيل، وإن وقع طائر أرسل عليه الجوارح، وفي يوم نعمه يجبر من يلقاه ويخلع عليه، ولبث بذلك بُرهة من دهر، وحكي أن سبب رجوعه عن هذه السنة أنه وقع في بعض أيام بؤسه رجل من طي يقال له حنظله، فقال له المنذر: لا بد من قتلك! سل حاجتك، فقال: أجزلي سنة حتى أرجع الى أهلي وأفعل ما أريد ثم أسير اليك فقال المنذر: ومن كفيلك انك تعود، فنظر إلى جلساء، فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني فقال:

---

(1) القرماني 234.
(2) ألحق المؤلف خبر الشاعر امرؤ القيس بأخبار ملوك الحيرة وهماً منه أنه منهم.
(3) في الهامش: مطلب في الغريين.

يا شريك يابن عمرو يا أخا من لا أخا له
يا أخا المنذر فك اليوم رهنا قدنا له
ان شيباً قتل أكرم الناس رجا له
وابو الحميرات عمرو وشرا حبك الجماله
ورثاك اليوم في المجد وفي حسن المقاله

فوثب شريك وقال: أبيت اللعن! يدي بيده، ودمي بدمه، فأطلقه المنذر. فلما كان من القابل قعد المنذر ينتظر حنظله فابطأ، فقدم شريك ليقتل فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع، فإذا هو حنظلة قد كفن وتحنَّط ونادبته تندبه[1]. فلما رآه المنذر عجب من وفائه، فقال ما منعك على [و20أ] قتل نفسك؟ فقال: إن لي ديناً يمنعني من الغدر، وقال له: ما دينك؟ قال: النصرانية، فاستحسن منه ذلك وأطلقهما معاً، وأطلق تلك السنَّة. وكان المنذر بنى الغَريين على مثال ما بناهما ملوك مصر، وذلك حكى ان بعض الفراعنة بنى بأرض مصر بنائين كالصومعتين، وأمر كل من يمر بهما أن يصلي لهما، ومن لم يصلِّ قتله، إلاّ أنه يقضي له حاجتين إلاّ النجاة والملك، ويعطي ماتمنى في الحال، ويقتل فآلى على ذلك دهر، فاقبل يوم قصَّار من افريقية[2] معه حمار له ولدين، فمر بهما ولم يصلِّ، فأخذه الحرس وجرُوه إلى الملك، فقال له الملك: وما منعك أن تصلي؟ فقال: أيها الملك! إني رجل غريب من افريقية أحببتُ أن أكون في ظلك وأصيبُ خيراً، ولو عرفت لصلَّيت لهما ألف ركعة، فقال له: تَمَّن كل ماشئت غير النجاة والملك، فأقبل القصَّار وأدبر، وتضرَّع وخَضَع، فما أفاده شيء، فلما أيَّس من الخلاص قال: أريد عشرة آلاف دينار أن توصلها إلى أهلي، فقال للبريد: أريد أن تحمل هذا الى قريته، وتسأل عن بيت فلان القصَّار وتُسلِّمه الى أهله، ثم قال له: ما الثانية؟ قال: أضرب كلا منكم بهذا الكودين ثلاث ضربات، إحداها شديدة، والثانية وسطاً، والثالثة دون ذلك، فمكث الملك طويلاً وقال لجلسائه: ماترون؟ قالوا: نرى أن لا تقطع سُنَّة آبائك، قالوا: بمن تبتدئ؟

---

(1) في الأصل: وحاشادمه. وما أثبتناه من مصادر هذه الحكاية.

(2) في الهامش: مطلب حكاية القصار مع ملك مصر.

قال بالملك، فنزل الملك عن السرير، ورفع القصّار الكودين وضرب به قفاه فأكبه على وجهه، وغشي على الملك، ثم رجع نفسه [و121] اليه، وقال: ليت شعري أي الضربات هذه، والله لئن جاءت الوسطى لأموتن دون الشديدة، ثم نظر الى الحُرّاس وقال: يا أولاد الزنا! كيف تزعمون أنه لم يصلّ، وأنا رأيته صلى، خلوا سبيله، وأهدموا الغريين!.

ثم بعد المنذر ملك ابنه النعمان، [و] بنى قصراً عجيباً بظهر الكوفة يقال له الخَوَرنَق، بناه رجل من الروم يقال له سنمار في ستين سنة، على وضع عجيب ما كان لأحد من الملوك مثله، ولم يعرف أحد بنى نظيره، فلما فرغ من بنائه فرح به النعمان، فقال له: سنمار: إني لأعرف موضع آجرّة لو زالت سقط القصر الى أسفله، فقطعت أوصاله، فاشتهر ذلك حتى ضرب العرب به المثل، فبينما هو جالس ذات يوم نظر الى البحر تجاهه، والى البر خلفه، والى البساتين حوله، ورأى الضبا والحوت والنخل، فقال له وزيره: ما رأيتُ أحسن من هذا البناء قط، فقال له وزيره: [فيه] عيب عظيم، قال: وما ذلك؟ قال: إنه غير باق، قال النعمان: وما الشيء الذي هو باق؟ قال: ملك الآخرة، قال: فكيف يحصل ذلك؟ قال: بترك الدنيا وعبادة الله، فقال: فهل لك أن تساعدني في طلب ذلك؟ قال نعم! فترك المُلك ولبس المسوح ووافقه وزيره ولم يعلم أحد خبرهما الى الآن، قال عدي بن يزيد:

وتفكر رب الخورنق اذ فكر يوما وللهدى تفكيرُ
فرأى ما رأى وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسَّديرُ
فارعوى قلبه فقال: فما لذة حيٍّ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك ولامة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق خُضرٌ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبور

ومن أهل الحيرة عبد المسيح بن بقيلة. ذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما إنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانياً. ورُوي أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصَّن منه أهلها، إرسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوي أسنانكم، فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة[1]، فأقبل

(1) في الهامش: مطلب في قصة خالد بن الوليد مع عبد المسيح بن بقيلة.

يمشي حتى دنا من خالد، فقال: أنعم صباحاً أيها الملك! قال: قد أغنانا الله عن تحيتك هذه، فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من ظهر أبي! قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي! قال: فعلى ما أنتَ؟ قال: على الأرض! قال: ففيم أنتَ؟ قال في ثيابي! قال: أتعقل؟ لا عقلت! قال: أي والله!. واقبل، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال خالد: مارأيت كاليوم قط إني أسأله عن الشيء وينحو[1] في غيره، قال: ما أبنأتك إلاّ عما سألتَ، فسَل عما بدا لك، قال: أعربٌ أنتم ام نبط؟ قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا، قال: فحرب أنتم أم سلم؟ قال: لا بل سلم، قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها لسفيه يُحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه، قال: كم أتى لك؟ قال: خمسون وثلثمائة سنة، قال فما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحر ترقى إلينا في هذا الجرف، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تضع مكتالها على رأسها لا تتزود إلا رغيفاً واحداً حتى تأتي[2] الشام، ثم قد أصبحت اليوم خراباً، وذلك دأب الله تعالى في العباد [و122] والبلاد. قال ومعه سُم ساعةٍ يقلبه في كفه، فقال له خالد: ما هذا في كفك؟ قال: هذا السم!، قال وما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله تعالى وقبلته، وإن كانت الاخرى لم أكن اول من ساق اليهم ذلاً أشربه واستريح من الحياة، فإن ما بقي من عمري اليسير. قال خالد: هاته، فأخذه، وقال: بسم الله، وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء، ثم أكله، فتخللته غشية، ثم ضرب بذقنه في صدره طويلاً، ثم عرق وأفاق كأنما نشط من عقالٍ، فرجع ابن بقيلة الى قومه، فقال: جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضرَّه، صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم، فإن هذا أمر مصنوع لهم، فصالحوهم على مئة ألف درهم.

الفصل السابع في بني ابي منصور سبكتكين[3]

وأبو المنصور سبكتكين كان حاجب أبي اسحق بن البِتكين الوالي على غزنة، وكان حاجبه الأكبر وعليه مدار أموره، وبيديه مناظم شؤونه، فلما مات أبو أسحاق

---

(1) في الأصل: وينخوا.

(2) في الأصل: يأتي.

(3) القرماني ص260-262.

ولم يكن بعده من يصلح لمكانه، اضطر العدد الدُهُم من مواليه وموالي أبيه إلى من يتولى زعامتهم، ويتكفل بحسن الأيالة خاصتهم وعامتهم، كذلك أهل غزنة فلم ينفكوا مختلفين في الإختيار إلى أن جُمعَت كلمتهم على تأميره، واتفقت آرائهم على الرضا بتدبيره، فبايعوه واقتادوا لحكمه، فلما تمكّن واستحكم، شرع في الغزو والإغارة في أطراف الهند، وجرى بينه وبين حيبال ملك الهند حروب ومعارك لا [و22ب] توصف حتى انتهى إلى بلد لم يبلغه أحد، فافتتح قلاعاً كثيرة، ولم يلبث الى أن اتسعت رقعة ولايته، وعظم حجم جريدته، ثم توفي.

وملك بعده ابنه السلطان محمود، ولم يزل يفتتح بلاد الهند حتى انتهى إلى بلدٍ لم يصله أحد، فوصل ذلك البلد بعناء شديد، وفي ذلك البلد الصنم المعروف لَسومنَاة(1)، وإن هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت، ويفعل مايشاء ويحكم مايريد. ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ، فينشؤها فيمن يشاء، ولم يبق في بلاد الهند والسند أحد إلاّ وقد تقرب لهذا الصنم بما عزّ عليه، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة، وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال، وفي خدمته ألف رجل يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه، وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون، ولكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم. وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة مسيرة شهر موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها، فسار اليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس، فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصيناً منيعاً، ففتحوها في ثلاثة أيام، ودخلوا بيت الصنم، ووجدوا حوله من أصنام الذهب المُرصَّعة بأنواع الجواهر عدة كثيرة محيطة بعرشه، يزعمون أنها الملائكة، وذلك في سنة ستة عشر واربعمائة.

وأحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في أذنه نَيِّف وثلاثين حلقة، فسألهم السلطان محمود عن ذلك، فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة. [و23أ]. وكانوا يقولون بقدم العالم، ويزعمون أن هذا الصنم يُعبد أكثر من ثلثين ألف سنة. فقلع أجراس الشرك وقمعها(2). واستولى السلاجقة على ملكهم.

---

(1) في الهامش: مطلب في صنم سومناة، وفي القرماني: بسومنات.

(2) في القرماني: فدحض عنها أدناس الشرك.

الفصل الثامن يتعلق في ذكر بني سلجوق بحلب والشام[1].

وأول من ملك منهم آتسز بن أرتق السلجوقي، وآخر الأمر أخذه منهم الغازي بن أرتق، وانقرضت آثارهم من حلب والشام[2].

الفصل التاسع يتعلق في ذكر بني أرتق[3]

وأرتق هو ابن أكسب[4]، وكان من مماليك السلطان ملك شاه، وضبطوا ماردين والموصل وحسن كيف وميافارقين وحلب، واستولى عليهم هلاكو ملك التتار، وانقرضت آثارهم.

الفصل العاشر يتعلق في ذكر دولة الاتابكية[5]

وأول من ظهر منهم أقسنقر، ملك حلب، وقتل بحلب، ودفن بالمدرسة المعروفة بالزجاجية داخل حلب. وكان آقسنقر مملوكاً لسلطان ملك شاه السلجوقي، ثم ملك حلب ابنه عماد الدين زنكي، ثم هلك وملك ابنه سيف الدين غازي الموصل، وابنه الآخر محمود، وهو نور الدين الشهيد بن عماد الدين زنكي. ومعنى الأتابك هو الذي يُربّي أولاد الملوك. ونور الدين الشهيد ملك حلب والشام، وكان مغرماً بالجهاد، فتح نيّف وخمسين قلعة. وكان بالشام رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام ثلاث مرات في ليلة واحدة[6]، وهو يقول: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين، وهما أشقران، فاستحضر [و23ب] وزيره قبل الصبح، فذكر ذلك له، فقال: هذا أمر حدث بالمدينة المنورة ليس له غيرك، فجهز ألف راحلة ومايتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فاستحضر أهل المدينة، فلم يرهما، ثم

---

(1) القرماني ص277.

(2) العبارة هنا مضطربة، والذي في القرماني: فخاف أهل حلب من الافرنج، فاستدعوا بالغازي بن أرتق وحكموه على أنفسهم، فلم يجد مالاً فصادر جماعة ثم سار إلى مدينة ماردين بنية العود لحمايتها، واستخلف عليها ابنه (حسام الدين تمرتاش) فانقرض ملك تتش من حلب والشام..

(3) القرماني ص277–279

(4) في الأصل: أكسلك، وفي القرماني: بن أكسب، وهو الصواب..

(5) القرماني ص279– 281.

(6) في الهامش: مطلب في نور الدين ورؤيته النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر قضية الصدقة، فسأل عمن بقي فقيل له: انه لم يبق إلا رجلانِ مجاوران من أهل الاندلس نازلين في الرباط الذي قبل الحجرة الشريفة، فجدُوا في طلبهما، فلما رأهما قال للوزير: هما هذان فسألهما عن حالهما، فقالا: جئنا للمجاورة، فقال: أصدقاني، فأبيا، ثم عاقبهما فأقرّا أنهما من النصارى، وأنهما ينقلون التراب من باب الحجرة الشريفة باتفاق الرباط،[1] وقيل كانا يحملان التراب في محفظتيهما ويخرجان يلقيانه في الخارج، [فضرب أعناقهما][2] ثم أحرقهما في النار. وحفر خندقاً حوالي الحجرة الشريفة المنورة بجوانبها وسكب فيه الرصاص والنحاس وحفظه في غاية الاحتفاظ. ومحاسن هذا السلطان لا تعد ولا تحصى، توفي في سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق من [علة] أعمال الخوانيق، ثم نقل إلى تربته التي أنشأها بقرب سوق الخوّاصين، ثم ملك ابنه الملك الصالح اسماعيل، وتوفي ولم يعقب، ثم ملك ابن عمته عز الدين مسعود صاحب الموصل، ثم انقرضت دولة الأتابكية حين وقع التتار بجلال الدين خورزم في سنة ثمان وعشرون وستمائة وقتلوه.

الفصل الحادي عشر يتعلق في ذكر طفتكين[3]

وأول من ظهر منهم أبو منصور طفتكين، وحمل مصحف عثمان -رضي الله- عنه من طبرية، خوفا من الروم، إلى [الـ]جامع الأموي. ثم ملك ابنه تاج الملوك [و24أ] ابو الفتح سعيد بوري، ثم تولى مكانه ابنه شمس الملوك أبو الفتح أسماعيل بن بوري بن طفتكين، ثم توفي، وتولى أخوه شهاب الدين [محمود][4] بن بوري، وتوفي ثم تولى أخوه أبو المظفر محمد بن بوري، فقتل، ثم تولى ابنه مكانه مجيد الدين[5]، وبه انقرضت دولتهم.

---

(1) في القرماني: وانهما وصلا لكي ينقلان من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما ووجدهما قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي لجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتهما.

(2) الزيادة من القرماني.

(3) القرماني ص 281.

(4) الزيادة من القرماني.

(5) في القرماني : آبق.

الفصل الثاني عشر في ذكر آل مرداس[1]

وأول من تولى منهم بحلب الصالح بن مرداس الكلبي[2]، فقتل، ثم تولى مكانه ابنه محمود، فقتل ثم تولى مكانه أخوه ثمال بن صالح بن مرداس، وتوفي ثم تولى مكانه أخوه عطية بن صالح، وتوفي. ثم تولى أحمد بن نصير بن صالح [إلى حدود اثنتين وسبعين وأربعمائة][3]، ثم استولى عليهم صاحب الموصل مسلم بن قريش شرف الدين، وبه انقرضت دولة آل مرداس.

الفصل الثالث عشر يتعلق في ذكر آل براق ملوك كرمان[4]

وأول من تولى منهم كرمان بن بَرَّاق، وكان حاجب كوزخان[5] ملك الترك[6]، فأرسله الى خورزمشاه للصلح، [فأعجبه لحسن تدبيره ورأيه][7] وأبقاه عنده، فولاه إمارة كرمان، فاستمر أميراً وبقي بيد أولاد أولاده الى ان استولى عليهم أمراء المَغُل.

الفصل الرابع عشر يتعلق في ذكر دولة الغورية ملوك غزنة[8]

وأولهم من ترك الخطا، وأول من ملك غزنة، علاء الدين[9]، ثم سيف الدين [محمد بن الحسين][10]، ثم شهاب الدين [أبو المظفر]، وضبط الهند والسند وخراسان، وتوفي. ثم تولى السلطان محمود [بن غياث الدين]، ثم ابنه مسعود[11]، فغلب على ملكهم خورزمشاه وزال ملكهم به [و24ب].

---

(1) القرماني ص283

(2) في الأصل: الصالح بحلب بن مرداس، والتصحيح من القرماني.

(3) الزيادة من القرماني.

(4) القرماني ص283.

(5) في القرماني: كوخان.

(6) في القرماني: سلطان الخطا.

(7) الزيادة من القرماني لتوضيح سبب ابقائه.

(8) القرماني ص283.

(9) ليس في القرماني: علاء الدين. ولكنه يذكره بعد سودون بن الحسين الذي أعقب سيف الدين المذكور.

(10) ما بين معقوفات من القرماني.

(11) ليس في القرماني مسعود هذا.

الفصل الخامس عشر يتعلق في ذكر خورزم شاهية ملوك ماوراء النهر(1)

عدة ملوكهم عشرة أنفار، ومدة ملكهم مائة وثماني وثلاثون سنة، وأول من ملك منهم محمد بن أنوشكين، وكان مملوكاً تركياً لبعض أمراء السلجوقية، ولقب خورزمشاه [وذلك في سنة تسعين وأربعمائة](2)، فزال ملكهم وطردهم عن مكانهم جنكيزخان ملك التتار.

الفصل السادس عشر يتعلق في ذكر جنكيزخان(3)

اتفق أهل التواريخ أن الترك أكثر الخليقة، لا يعلم عددهم أحد، ولا مبدأ حالهم. ولم يزالوا ببلاد الشرق [من أول الخليقة لا يعلم أحد مبتدأهم](4)، وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم، و[وأكثر] دوابهم الخيل، وأقواتهم الارز وألبان الخيل ولحومها، وتعرف ملوكهم بالخانقان(5)، وهم من بقايا يأجوج ومأجوج، سموا بالترك لأنهم تركوا عن دخول السد، وكانوا مُبددين في دَشْت قبجاق، في حدود ممالك الخطا والصين مسيرة أماكنهم شرقا وغربا ثمانية أشهر، وشمالا بجنوب مثلها، يتوالدون في ذلك البر، ويتاجرون في ذلك السهل والوعر، كالحيوانات السائبة. وهم قبائل وشعوب، وضروب وأصناف، وكل طائفة لا يدرون الحلال والحرام، ويعبدون الأوثان والأصنام، ويسجدون للشمس إذا بزغت، ويعظمون النجم، ويأكلون الكلاب والفأر، وما وجدوا من صيد القفار.

وهم متمكنون في ذلك المكان، حتى ظهر منهم هذا اللعين الطاغية [تموجين](6) المسمى بجنكيزخان، وكان أصله من [قبيلة من] تلك التتار، وجدة جنكزخان امرأة أحبها اسمها الان [قوا]، وانها ولدت بودنجر من غير أب، وكانت مزوجة ومات زوجها، وحملت وهي ايم فتنكر عليها أقربائها [و25أ]، فذكرت أنها في بعض الأيام رأت نوراً دخل في فرجها ثلاث مرات، وطرأ عليها الحمل بعده،

---

(1) القرماني ص286.

(2) الزيادة من القرماني.

(3) القرماني ص283-286.

(4) الزيادة من القرماني لضرورة السياق.

(5) في القرماني: بالخان.

(6) الزيادة من القرماني

وقالت لهم: إن في حملي ثلاثة ذكور، فان صدقتُ فذاك، وإلاّ فافعلوا ما أردتم، فوضعت ثلاثة توائم، فظهرت براءتها برغمهم، واسم اولادها الثلاثة: الاول يُوقن، والثاني قوناغي، والثالث بودنحره، وهو أب[1] جينكيزخان من الابناء[2]، [وكان من ابتداء حاله][3] انه خدم ملك الخطا باوندي خان[4] فقربه، ثم استولى على الخطا وملكها، واستولى على الصين، وكان في سنة احدى وستمائة، وكان أمياً لا يقرأ ولايكتب، ورتب له كتاباً سماه الياسق الكبير، وكتابه كله من الخرافات الباطلة من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة.

وكان كرسي مملكته قراقروم، ووقع بينه وبين خورزمشاه جلال آل الى مجيئه، فجاء جنكزخان الى بخارا فنهبها وأحرقها وقتل أهلها وأخذ أموالها، وكان السيد الشريف جلال الدين علي، فقبضوا عليه وربطوا يديه وعنقه، فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار، إلاّ رجل وصل إلى خراسان، فسألوه عن هذا الشأن: كيف كان؟ فقال بذلك اللسان ما صورته: أمدند، وكندند، وسوختند، وكشتند، وبرخد[5]، ورفتند[6]. وجنكزخان مرض بخراسان، ورد إلى ملكه، فأحضر أولاده، واعطى كل ولد مملكة، واوصى التخت لولده الصغير تولى خان. واسماء أولاده: جغتاي واوكتاي وجرجان وكاكان واورخان وتولى خان.

وكان وفاة جنكزخان عام أربعة وعشرين وستمائة من الهجرة. ثم مات تولي خان، وتولى ابنه هولاكو، واستولى على عراق العرب [و25ب] والعجم والموصل والجزيرة وديار بكر والروم والشام، ومع هذا فإن الله وفقه على الإسلام، وظهر له وليّان أبو يعقوب ومحمد خواجه دربندي، دخلوا النار، وشربوا السموم والنحاس المذاب، فخاف هولاكو منهم، فرجع عن الكفر وأسلم في مراغة، ونقل الى قلعة ثلث من اعمال سلماس، توفي في سنة ثلاث وستين وستمائة، وكان عمره ستين سنة،

---

(1) في القرماني: وهو جد.

(2) ليس في القرماني: من الأبناء.

(3) من القرماني.

(4) في القرماني: باونك خان.

(5) في القرماني: بردند.

(6) في القرماني: أي هجموا وهدموا وأحرقوا وأرهقوا ونهبوا وذهبوا.

وخلف سبعة عشرا ولداً ذكراً، وتولى مكانه آبقاي أو قبلاي، وكان كرسي مملكته مدينة ماليق من بلاد الخطا. اتفق المؤرخون على انه لم يبق من بني هولاكو من يتحقق من نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك، ومن نجا منهم طلب الاختفاء، فخفى نسبه، وارغون بن قبلاي[1]، وقازان[2] بن ارغون.

الفصل السابع عشر في ذكر تيمور وما فعل من مفاسد الامور[3]

وكان له نسب يتصل به الى جنكزخان من جهة النساء، وكان تيمور رجلا ذا قامة شاهقة، كأنه من بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والرأس، شديد القوة والبأس، أبيض اللون مشرباً بحمرة، عظيم الأطراف، عريض الأكتاف، مسترسل اللحية، أعرج اليمناوين، عيناه كشمعتين، وكان جهير الصوت، وكان بدء أمره وخروجه في حدود الستين والسبعمائة.

وهو من قرية تسمى خراجة[4] ايلغار من أعمال الكش، وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر في جانب سمرقند، وكان أبوه رجلاً فقيراً اسكافاً [و26أ]، وتيمور أيضاً فقيرا فسُرق غنمه فشعر به الراعي، فضربه سهمين، أصاب بأحدهما فخذه فأخطلها[5]، وبالأخرى كتفه فابطلها، فازداد كسراً على فقره، ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمنه رأس معز، وقصد الشيخ شمس الدين الفاخوري وقد ربطه بحبلٍ، طرفه إلى عنقه والآخر إلى عنق المعز، وجعل يتوكأ على عصا حتى دخل على الشيخ فصادفه هو والفقراء مشغولون بالذكر، ومستغرقون فيما هم فيه من الوجد والفكر، فلا زال قائماً بصف النعال حتى أقاموا من حالهم، وسكتوا عن قالهم، فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع إلى تقبيل يديه، وأكبَّ على رجليه، ففكر الشيخ ساعة، ثم رفع رأسه الى الجماعة، وقال: هذا الرجل بذل عَرضَه وعُروضه، واستمدنا في طلب ما لا يساوي عند الله جناح

---

(1) في القرماني: آرغون بن أبغا.

(2) في القرماني: غازان.

(3) القرماني ص288-292.

(4) في القرماني: خواجه..

(5) في الأصل: فاخطلها.

بعوضة، ولا نحرمه، فأمدّوه بالدعاء إسعافاً لما طلبه. ورجع من عند الشيخ، وذهب الى خراسان، واجتمع مع الشيخ زين الدين أبي بكر [الخوافي]، وانكب على رجليه، فوضع الشيخ يده على ظهره، فخرج من عند الشيخ، وقال: ملكت الآن الدنيا! وكان يقول: جميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري وهمة الشيخ زين الدين الخوافي، والسيد [محمد] بركة. وصار من بركة المشايخ ملكا عظيماً، ولما خلص له جميع ممالك العجم، ودانت ملوكهم، وقد بلغه ان فيروز شاه سلطان الهند مات ولم يكن له ولد خليفة عنه، فوصل الى الهند وضبطها، وجعل فيها نائبه، ثم توجه الى نحو الروم.

ثم أن تيمور [و26ب] لما رجع إلى بلاده، وقد بلغ من دنياه المَرام، وانتهى أمله الى الكمال والتمام، وصل الى مدينة أترار مرض، وجعل يتناول من العَرَق حتى فتت كبده، وصار يتقيأ دماً، ويأكل يديه حَسْرَةً وندماً على ما فرط في جنب الله، فانتقل من الدنيا سنة سبع وثمانمائة، ومات بمدينة أترار، وحملوا عظامه الى سمرقند، وعمره جاوز الثمانين، ومدة ملكه مستقلاً ست وثلثون سنة، وخلف ولدين، أحدهما أمير شاه والآخر شاه رخ، وحفيده خليل بن أمير شاه، وكان عنده وتولى مكانه.

ثم قتل أبوه أمير شاه، فلما مات خليل شاه بن أمير شاه، وتولى مكانه عمه شاه رخ، أرسل تيمور كتابا مع أربعة رجال إلى صاحب المصر الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انص العمامي الجركسي، اشتراه الأتابكي يلبغا العمري، وانما سمي برقوق لخطط في عينيه، وكتاب تيمور هذا بعد البسملة:

قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة. (أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[1] إعلموا إنا جند الله في أرضه، مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل غضبه عليه، لا نرق لشاك، ولا نرحم عبرة باك، ونزع الله الرحمة عن قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من جهتنا، قد خربنا البلاد، وأيتمنا الأولاد، وأظهرنا في الارض الفساد، خيولنا سوابق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ومُلكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، ومن سالمنا [و27أ] سلم، ومن نال حربنا ندم، فإذا أنتم قبلتم شرطنا، وأصلحتم أمرنا،

---

(1) الزمر، الاية 46.

فلكم مالنا وعليكم ماعلينا، وإن أنتم خالفتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلوموا إلاّ أنفسكم، فالحصون لا تمنع، والعساكر لا ترد ولا تدفع، ودعاؤكم لا يسمع، لأنكم أكلتم بالحرام، ومنعتم الجُمَع، فابشروا بالمذلة والهوان (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)[1]، فقد غلب عندنا أنكم كفرة، وثبت عندنا أنكم فجرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكثيركم لدينا قليل، وقد أوضحنا لكم الخطاب، فاسرعوا برد الجواب، قبل أن ينكشف الغطاء، وترمي الحرب نارها، وتلقي أوزارها، ولم يبق لكم باقية، وينادي عليكم منادي الفناء: هل تحس منهم من أحد، وتسمع لهم ركزا. الآن قد أنصفناكم، وارسلنا رسلنا اليكم، فردوا الجواب، هذا الكلام. والسلام.

فلما سمع السلطان برقوق هذا الكتاب اغتاظ غيظاً شديداً، وأمر بتوسيط الرُسُل، فوسِّطوا وعلقوا، وأمر بكتب جوابه، فكتب بانشاء ابن فضل الله [العمري][2] وجوابه هذا: بعد البعدية والأقدار حصل الوقوف على الكتاب، فخبر السلطان ما وقفنا عليه، فقولكم إنا مخلوقون من سخطه، ومسلطون على من يحل عليه غضبه، وانكم لا ترقوا لشاك، ولاترحموا عبرة باك، قد نزع الله الرحمة عن قلوبكم، فهذه صفة الشياطين لاصفة السلاطين (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أعبد مَا تَعْبُدُونَ)[3]. [و27ب] فأي كتاب كريم ذكرتم على لسان أي رسول بعثتم، ولكن بكل قبح وصفتم، وعندنا خبركم من حين خلقتم، وزعمتم أنكم كفرتم، ألا لعنة الله على الكافرين، من تمسك بالأصول لن يبال بالفروع. نحن المؤمنون حقاً القرآن على نبينا أنزله، ونحن الشجعان، وسيوفنا شديدة المضارب، ذكرها في المشارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة . (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[4]. وقولكم:

(1) الجاثية، الآية 20.

(2) الزيادة من القرماني ص207، ولعل الأخير نقله من شهاب الدين أحمد بن عربشاه، ونص ابن عربشاه «وقيل هو إنشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله، وما أظن لذلك صحة» . عجائب المقدور في نوائب تيمور، طبع حجر كانفور، ص133.

(3) الكافرون، الآية 1-2.

(4) آل عمران، الآية 169.

قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالقصاب لايبالي بكثرة الغنم، وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم . (كَمْ مِن فئةٍ قليلة غَلَبت فئةً كثيرةً بإذن الله واللّهُ مَعَ الصَّابرين)[1]. الفرار الفرار من الرزايا لا المنايا، ونحن من الطمأنينة على عادة الأمنية، إن قتلنا فشهداء وإن عشنا كنا سعداء. (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2] قل لكاتبك الذي وضع رسالةً، ووصف مقالةً، وصل كتابٌ كصرير الباب، أو كطنين الذباب، فنستكتب[3] ما نقول، ونتخذ لهم من العذاب، قد فلما وصل الكتاب الى تيمور، غضب غضباً شديداً، وبعد أيام مرض السلطان برقوق ثم توفي.

الفصل الثامن عشر يتعلق [و28أ] بذكر دولة الداشمندية في بلاد الروم[4]

وأول من ظهر منهم أحمد بن اخت البطال الغازي، ولقبه دانشمند الغازي، وجعل مقر سلطنته سيواس، وفتح قسطموني ونكسار، واستولى على ملكهم آل سلجوق.

الفصل التاسع عشر يتعلق في ذكر آل قرمان[5]

يقال لجدهم نوره صوفي، أصله أرمني فأسلم، وسكن بمدينة أماسية، وصار من توابع البابا الياس، ولما قتل الشيخ البابا الياس انتقل لمدينة قونية، وسكن بها، واعتقد به ناس كثير، حتى علاء الدين السلجوقي كيقباد، وجعل ولده قرمان مقرباً عنده، وزوَّجه أخته، وولاه أمره ببلاده، وسمى تلك البلاد باسمه، واستمر في السلطنة هو وأولاده، واستولى على بلادهم السلطان محمد خان.

الفصل العشرون يتعلق في ذكر دولة آل سلجوق في بلاد الروم[6]

وذلك أن السلجوقية لما انتشروا في البلاد طالبين المُلك، دخل منهم قطلمش بن ميكائيل بن سلجوق إلى بلاد الروم، وملك مدينة قونية وآق سراي ونواحيها،

---

(1) البقرة، الآية 249.

(2) المجادلة، الآية 22.

(3) كذا في الأصل، ولعلها : فنستكتب.

(4) القرماني ص292.

(5) القرماني ص292-293.

(6) القرماني ص293-295.

وتوفي وتولى مكانه ابنه سليمان، وتوفي، ثم تولى مكانه قليج آرسلان، ثم ملك ابنه مسعود، ثم تولى مكانه قليج ارسلان، واستولى على غالب بلادهم بنو عثمان، وتولى على البعض آل قرمان، وكان مدينة سينوب وقسطموني بيد أولاد قزل أحمد، أولهم عادل بيك، وتولى تلك الديار بايزيد الزمن، ثم اسفنديار واستولى على ملكهم السلطان محمد خان، وهذه الطائفة يزعمون انهم من نسل خالد بن الوليد.

وأما مماليك آيدين تولى عليهما صاحبها آيدين بك، ثم ولده محمد بيك، ثم ولده عيسى بك. وفي زمانه صنف حاجي باشا كتاب (الشفا) في علم الطب، واستولى عليهم السلطان مراد خان العثماني، وانتزع الملك منهم. واما مملكة صاروخان تولى عليها [و28ب] صاحبها صاروخان، وبعده الياس بيك، وبعده اسحق بيك، ثم ظفر به يلدرم بايزيد، وأسره، وأما ممالك كرميان تولى عليها صاحبها كرميان بيك، ثم تولى ابنه علمشاه، ثم تولى ابنه يعقوب، وسلم مفاتيح بلاده للسلطان مراد خان الغازي، فعين له إمارة ببلاد روم ايلي. ولما توفي السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي، وكان الأمير عثمان جد السلاطين العثمانية إذ ذاك بمدينة قره حصار.

الفصل الحادي والعشرون يتعلق في ذكر دولة آل عثمان أبقاهم الله تعالى الى آخر الزمان آمين(1)

وهم من أعظم سلاطين الدنيا إجلالاً وهيبة، وأشهرهم آثاراً وقوة، وأول ملك منهم في ممالك الروم الأمير عثمان الغازي بن أرطغرل بن سليمان خان، وكان سليمان خان سلطاناً في بلاد ماهان قرب بلخ، فلما أخرج جنكزخان سلطان البلخ علاء الدين خورزم شاه من البلخ وأخربها، وتفرقت أهلها، ترك سليمان خان البلاد، وقصد مع توابعه الى بلاد الروم، عند كبقياد علاء الدين السلجوقي، ليستأذن منه الدخول في بلاده، فلما جاء الى الفرات ليعبر غرق ودفن أمام قلعة جعبر، وله قبر هناك يزار ويتبرك به.

---

(1) القرماني ص295-322.

ثم جاء ابنه ارطغرل بك عند علاء الدين كيقباد، وطلب منه موضعاً للسكون فأعطاه، فنزل كيقباد عند كوتاهيه، وحاصرها معه أمير أرطغرل بك، ففتحوها عنوة فازداد عند كيقباد قرباً ومنزلة، [و29أ] ثم توفي أرطغرل بك، وعين كيقباد مكانه ولده عثمان بيك بن ارطغرل بك، وأرسل اليه الراية السلطانية، والخلع السنيّة والطبل، فلما ضرب الطبل بين يديه، نهض قائماً على قدميه، إعظاماً للسلطان علاء الدين، فما زال كذلك حتى فرغوا، فمن ذلك اليوم كان [من] سنن العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة في الأسفار والأعياد(1). وكان يحب العلماء والصلحاء، وكان كثير التردد عند الشيخ العارف أده بالي القرماني، وربما يبيت عنده في زاويته.

و[في] ليلة رأى أن قمراً خرج من حضن الشيخ ودخل حضنه، وعند ذلك نبتت من سُرَّته شجرة عظيمة سَدَّت أغصانها في الآفاق، وتحتها جبال راسيات ذات أنهار وعيون، والناس ينتفعون من تلك المياه، فلما استيقظ من المنام قصَّ رؤياه على الشيخ أده بالي، فقال له: البشارة بمنصب السلطنة، وسيعلو أمرك، وينتفع الناس بك وبأولادك، وإني زوَّجتك بنتي، فقبلها عثمان منه وتزوجها، فولد له منها أولاد من جملتهم السلطان أورخان، فتسلط عثمان خان في البلاد التي افتتحها، وخطب له باسمه. وأول خطبة خطبت له في دولة العثمانية في مدينة قره حصار في سنة تسع وتسعين وستمائة، فاخذ ينكي شهر وجعلها دار الامارة، ثم شرع في أخذ مدينة بورسا، ولم يمكنه. ثم توفي وله من العمر تسع وتسعون سنة، وكان مولده سنة ستمائة وستة وخمسين، وكان مدة ملكه ست وعشرين سنة، وتوفي [و29ب] في سلوه مك(2) ودفن في بورسه، ولم يترك من المال شيئاً، وإنما ترك بعضاً من الخيل وشيئاً من الغنم، فالغنم التي كانت ترعى في نواحي بورسا باسم السلاطين العثمانية من تلك الأغنام، ثم تولى مكانه ابنه الملك المجاهد الغازي أورخان.

ومن العلماء في زمانه داود القيصري القرماني، وكيكلو بابا، كان من الاولياء وكان يركب على الغزلان، وحضر معه فتح بورسه وهو راكب على غزال. وأيضاً

---

(1) في الهامش: مطلب في السلطان عثمان جد سلاطيننا ورؤية المنام.

(2) في القرماني: سوتجك.

الشيخ العارف بالله قوجه أحمد، أصله من بلاد العجم من أبناء الملوك. وأيضاً الشيخ المجذوب موسى بابا، ومن كراماته أنه أخذ جمرة ووضعها في قطن وأرسلها إلى الشيخ كيكلو بابا، فلما رآها أرسل إليه لبن الغزلان، فلما رآه تعجب، فسأل عنه، فقال: تسخير الحيوانات أصعب من تسخير الجمادات. وأيضا أخي أورخان ودغلو بابا، وأبدال مراد، كلهم كانوا في زمانه، وكلهم من أولياء الله تعالى، ففتح اورخان بورسا وجعلها دار السلطنة، ثم توفي وله من العمر ثلاث وثمانون سنة، وكان مولده سنة ستمائة وستة وثمانين، وكانت مدة سلطنته خمس وثلاثون، ودفن في بورسا .

ثم تولى مكانه ابنه السلطان مراد خان، ثم توفي وله من العمر خمس وستون سنة، ومولده سنة سبعمائة وسبعة وعشرون، وكانت مدة ملكه وسلطنته تسعة وثلاثين. ثم تولى مكانه ابنه يلدرم بايزيد خان كان له حوض من الفضة يغتسل به، كذلك أوانيه التي يأكل فيها ويشرب، ثم توفي وله من العمر ستون سنة، وكانت ولادته في سبعمائة وثمانية وأربعين، ووفاته في ثمانية وثمانمائة سنة، وكانت مدة ملكه إحدى وستون سنة، [و30أ] وكانت ولادته في سنة سبعمائة وثمانية وأربعين، ووفاته في ثمانية وثمانمائة سنة، وكانت مدة ملكه إحدى وستون سنة. ثم تولى مكانه السلطان محمد بن ايلدوم خان، ثم توفي وتولى مكانه السلطان مراد خان بن محمد خان، ثم توفي وتولى مكانه السلطان بايزيد خان، وكان يجمع في كل منزل حَلّ من غزواته ماعلى ثيابه من الغبار، فلما دنا أجله أمر بذلك الغبار يصير لَبنة صغيرة، وأوصى أن يوضع معه في القبر تحت خده الأيمن. فمن أقواله صلى الله عليه وسلم (مَنْ اغبَرَّت قَدَماه في سبيل الله حَرَّم الله جَسَدَه على النار)[1]، ثم توفي وتولى مكانه سليم خان بن بايزيد خان، ثم توفي وتولى مكانه سليمان خان بن سليم خان، ثم توفي وتولى مكانه سليم شاه بن سليمان خان، ثم توفي وتولى مكانه مراد خان بن سليم شاه، ثم توفي وخلف عشرين ولداً ذكراً غير الإناث، [و] توفي وتولى مكانه ولده الأكبر السلطان محمد خان، فلما استقر على سرير الملك أمر بخنق إخوته جميعاً فخنقوهم وصلّوا عليهم مع أبيهم، ودفنوهم معه، ثم تولى السلطان أحمد، ثم تولى بعده السلطان مصطفى، ثم تولى بعده السلطان مراد،

---

(1) البخاري، الحديث 2650.

وفتح بغداد دار السلام بعد أن استولى عليها العجم في زمن الشاه عباس، وملكوها، ووقع الصلح بينه وبينه، ثم تولى بعدها السلطان ابراهيم، ثم تولى بعده السلطان محمد، [و 30أ] ثم تولى السلطان سليمان، ثم تولى بعده السلطان محمد، ثم تولى بعده السلطان أحمد[1]، (ثم تولى بعده السلطان محمود، وهو الآن سلطاننا، ولولا لطف الله بهذه الدولة السعيدة لتزلزلت قواعدها السديدة، لما فيها من أتباع الشرائع، التي تفضي الى دخول الجنة من أوضح الشرائع).

الفصل الثاني والعشرون يتعلق في ذكر دولة آق قوينلي وقره قوينلي[2]

وهما طائفتان من التركمان، وكانت مساكنهم القديمة ببلاد تركستان، ثم تحولوا عنها في زمن أرغون بن قبلاي بن هُلاكو ابن تولي خان بن جنكيزخان، فنقلوا الى بلاد ارذبيجان، ثم تحولت طائفة قره قوينلي إلى اذربيجان وسيواس، واستفحل بها امرهم، وأيضا تحرك طائفة آق قويينلي الى ديار بكر، واستولى على الملك والسلطنة، وأول من ظهر منهم صلاح الدين قطلي طورعلي بيك التركماني، ثم توفي. وتولى مكانه فخر الدين قطلي بن طور علي بيك، ثم توفي. وتولى مكانه قره ايلوك، واستنابه تيمور، وحضر معه بالشام. وله من البلاد ديار بكر وآذربيجان وماردين والرها وعانه، ثم استولى على غير تلك البلاد، فقتله اسكندر بن قره يوسف في خندق أرض الروم، ثم تولى مكانه حمزه بيك، ثم توفي وتولى مكانه أخوه حسن الطويل بن علي بيك بن طورعلي بيك، واستفحل في البلاد حتى قتل صاحب العجم وصاحب ماوراء النهر بن امير شاه بن تيمور، [و31أ] ثم توفي وخلف خمسة أولاد: خليل ميرزا، وكان حاكم فارس، ومقصود بيك وكان حاكم بغداد، ويعقوب ومسيح ويوسف، وآخر الأمر استولى على ملكهم اسماعيل شاه وانقرضوا.

الفصل الثالث والعشرون يتعلق في ذكر دولة القادرية[3]

وهم طائفة من التركمان توطنوا في البستين[1] ومرعش وعنتاب وملطية وخربوت وغيرها من البلاد، وهم يزعمون أن نسبهم ينتهي إلى كسرى أنوشروان

---

(1) الفقرة الآتية للمؤلف نفسه.

(2) القرماني ص336-339.

(3) القرماني ص339، وفيه: الغادرية.

العادل ملك الفرس، وقد تقدم ذكره. وأول من ظهر منهم قرَجا بن ذي القادر، واستفحل أمرهم في البلاد، واستولى على ملكهم سليم خان بن بايزيد خان العثماني سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة.

الفصل الرابع والعشرون[2] يتعلق في ذكر دولة الرمضانية

وهم طائفة من التركمان تغلبوا على البلاد في سنة ثمانمائة، وأول من ظهر منهم أحمد بن رمضان، وكان له من البلاد أدَنه وسيس وإياس وغيرها، واستولى على ملكهم السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم بايزيد.

الفصل الخامس والعشرون في ذكر دولة الدَرْبَندية[3]

وأول من ظهر منهم الشيخ ابراهيم، وله نسب يتصل بكسرى أنوشروان، ولهم قلعة الشماخي. وآخر الأمر استولى عليهم الشاه اسماعيل، ثم أخذ من شاه اسماعيل سليم خان حين فتح شيروان الوزير الأعظم مصطفى باشا، وتولى هناك (منهم أبو بكر ميرزا وهو الآن نسله هناك)[4].

الفصل السادس [و31ب] والعشرون يتعلق في ذكر العجم من آل حيدر الصوفي الاردبيلي الاسماعيلي[5]

وأول من ظهر منهم الشيخ جُنيد بن الشيخ إبراهيم بن خواجه علي بن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين بن جبريل. قيل: كان الشيخ جنيد [هذا من العلوية الحسينية الإسماعيلية][6] بن العلوي والله أعلم بصحته، ثم توفي الشيخ جنيد فنهض ابنه حيدر، وغزا الكُرج، واتخذ التاج من الجوخ الأحمر اثنى عشر رقعة، وسمي بتاج الحيدرية، وهجم على صاحب شيروان وحاصره. وجاءه[7]

(1) في القرماني: البستان.
(2) القرماني341.
(3) القرماني ص321-331
(4) هذه العبارة للمؤلف وليست للقرماني.
(5) القرماني ص333-336.
(6) الذي في الأصل: من العلوي بن ظهر الحسينية الاسماعيلي، فأثبتنا ما في القرماني.
(7) في القرماني: وقتله.

يعقوب بيك حسن الطويل صاحب تبريز الشيخ حيدر هو وأولاده سوى ولديه اسماعيل ويارعلي، ثم استفحل اسماعيل بعد زمان، وهجم على الوند ميرزا بن يوسف بن حسن الطويل وقتله، واستولى على اذربيجان، وسمي بالشاه، وخطب له على المنابر، وهو أول من طغى وتجبر من هذه الطائفة، وأخذ ديار بكر وتوابعها والعراق وبغداد وخراسان وما وراء النهر، وقتل يشبك خان، خان الأوزبكية، وجعل جمجمة رأسه مثل القدح، فكان يشرب بها مدة حياته، واستيلاؤه كان في سنة خمس وتسعمائة، فلما توفي تولى مكانه ابنه طهماسب، ثم قُتل بالسُم، ثم تولى مكانه ابنه اسماعيل شاه، ثم هلك، وتولى مكانه محمد خُدابَنده وكان بخراسان أعمى، ثم توفي وتولى مكانه ابنه الشاه عباس المقدم ذكره (ثم توفي.

وأتى بعده عدة ملوك من نسلهم، آخرهم الشاه طهماز، ثم استولى على ملكهم نادر شاه وسيأتي ذكره. وكان وزيراً من وزراء الشاه المذكور، فوّض اليه سياسة [و32أ] نظام عسكره الى أن استفحل واستولى عليه وقتله، وقتل جميع نسل الشاهات الحيدرية. وغزا الهند، وما وراء النهر واللّزك، وضبط عدة من بلادها. وكذلك غزا بغداد والموصل، ولم يحصل بيده شيء بوجود ضيغم الوزراء أحمد باشا بن حسن باشا، وسيأتي ذكر ذلك، وجرى بينه وبين آل عثمان حروب ومعارك، وكان يدعى مذهبه الرفض، ولكنه الظاهر انه ليس له مذهب، وبالظلم هو أظلم من فرعون، ثم قتل في سنة ستين ومائة والف، والآن صار ملك العجم ملكا عضوضا)[1].

الفصل السابع والعشرون يتعلق في ذكر دولة الاوزبكية[2]

اعلم أن أوزبك خان ينتهي نسبه الى جوج خان بن جنكزخان، ولما أسلم اوزبك خان أسلم غالب رعيته لإسلامه، وعاملهم بحسن المعاملة إلى أن توفي بالسُم، واما يشبك خان بن برق خان بن ابو الخير فينتهي نسبه الى أوزبك خان، وكان بدء حاله ببلاد تركستان، ثم وصل الى خدمة السلطان أحمد ميرزا بن السلطان سعيد حاكم ما وراء النهر، ووقع بينهما منافرة آلت الى مفارقته، فرجع الى تركستان، فجمع

---

(1) الفقرة بين القوسين للمؤلف ، أضافها على ما اقتبسه من القرماني.

(2) القرماني ص336.

العساكر وهجم على السلطان أحمد ميرزا، واخذ بعض من بلاده، ولما مات السلطان أحمد ميرزا ووقع المخالفة بين أولاده استولى على بلاد خراسان في سنة ست وعشرة وتسعمائة، وكانت تحت حكم السلطان أحمد ميرزا قبل ذلك. وجمع الشاه اسماعيل العساكر وهجم على يشبك خان وقتله، ثم هجم عبيد الله خان بن السلطان محمود بن أخي يشبك خان المقتول، وحارب الشاه اسماعيل وانتقم منه،(وكان الحرب لم يزل قائم بين هؤلاء الجماعة)[1].

الفصل الثامن والعشرون يتعلق في ذكر ملوك اليونانيين[2]

اعلم أن الناس تنازعوا في نسبهم، فذهبت طائفة الى انهم ينتسبون الى الروم ويضافون الى عيص بن اسحق عليه السلام، وقالت طائفة: ان يونان من ولد يافث لأن الديار كانت مشتركة، والمواطن كانت متساوية. وكانت اليونان من أعقل الناس، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والرياضية. وكانت خزائن ملوكهم وكتب علومهم ببلدة قبرُس، فحُملت الى المأمون فأمر بنقلها الى العربية، فهي الآن بيد الناس. وكان العالم بهذه العلوم يسمى فيلسوفاً [و] تفسيره مُحب الحكمة. وكانت ملوكهم من اعظم الملوك ودولتهم من أفخم الدول، ولم يزالوا بذلك حتى غلب عليهم الروم.

وأول من اشتهر من ملوك اليونان بالملك فيلقوس بن مصر بن هرمس بن هروس بن منصور بن روي بن ليط بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، ومعنى فيلقوس صاحب الفرس، وكان مقر ملكه بمدينة مقدونية وهي مدينة حكماء اليونان، وكانت مدة ملك فيلقوس سبع سنين، فلما مات ملك ابنه اسكندر وكانت ملوك اليونان يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى ملك الفرس، وكان [و33أ] خراجهم في كل سنة بيض من ذهب عدد معلوم، ووزن مفهوم، فلما ملك الاسكندر بعث اليه دارا بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن كيشاسب، وهو الذي جاء اليه زرادشت، بعث إليه يطالبه بما جرى من الرسم، فبعث اليه الإسكندر: إني قد ذبحت الدجاجة التي كانت وأكلتها! فكانت من حروبهم ما دعى الاسكندر الى

---

(1) العبارة أضافها المؤلف على ما لخصه من القرماني..

(2) القرماني ص368-370.

الخروج الى أرض الشام وقتل دارا. فلما مات الاسكندر وعرض الملك على ابنه فأبى، وصار الملك للبطالسة، وهم ملوك اليونان، وعدة البطالسة الذين ملكوا بعد الاسكندر ثلاثة عشر ملكاً، منهم قلنطرة(1) قتلت بالمصر، وهي آخرة ملوك اليونان، وانقرض ملكهم بها ويسمى كل واحد بطليموس، وهي لفظة مشتقة من الحرب.

الفصل التاسع والعشرون يتعلق في ذكر ملوك الروم بنو الأصفر(2)

والملك منهم يسمى قيصراً، سموا رُوماً لإضافتهم الى مدينة رومية، واسمها روماس بالرومية، فعُرِّب هذا الاسم فسمي من بها رُوماً. وان الروم ينسبون الى روم بن عيص، وكان أول من اشتهر من ملوكهم بروميته بعد اليونانيين توليس(3)، ثم ملك بعده اغسطس قيصر، وتفسير قيصر اي فشق عليه(4)، وذلك أن امه ماتت وهي حامله به فشق بطنها، وكان هذا الملك يفتخر في وقته ويقول: ان النساء لم تلده، وكذلك يفتخر ممن كان من ولده. وفي أيامه ولد المسيح -عليه السلام- ورفع في ايام ثمانيوس(5). وفي ايام أواليس ملك القسطنطينية استيقظ [و33ب] اصحاب الكهف من رقدتهم.

الفصل الثلاثون يتعلق في نسب ملوك اليمن(6)

وآخر ملوكهم اسمه ابراهيم كان طفلاً فقتل، وكان له عبد يقال له نجاح، فضرب السكة باسمه، وكان له عدة أولاد فصاروا كلهم ملوك اليمن.

الفصل الحادي والثلاثون يتعلق في ذكر بني الليث الصفار وملوك سجستان(7)

وهم أربعة نفر: يعقوب وعمر وطاهر وعلي، وكانوا ملوكا عظاماً، وكان الليث من أهل سجستان يبيع الصُفر، وبعده صار من القطاع، واتفق أنه ليلة نقب خزانة

---

(1) في القرماني: قيلونطره، وواضح أن الاسم جاء محرفاً من (كليوباتره).

(2) القرماني ص370-372.

(3) في القرماني: بوليس.

(4) في القرماني: فتق عنه.

(5) في القرماني: غالبوس

(6) في القرماني ص238.

(7) القرماني ص285.

دَرْهَم بن نصير أمير سجستان، وأخذ الاموال، فوقع نظره إلى شيء أبيض يبرق، فأخذ منه فذاقه، فوجده ملحا، فردَّه ورد المال الذي أخذه الى مكانه، وخرج هو وأصحابه، ولم يأخذوا شيئاً. فلما أصبح الأمير دَرهَم، واطلع على الحال، نادى بالأمان لمن دخل خزينته ولم يأخذ شيئاً منها، ليطّلع على سر ذلك، فحضر الليث، فسأله: لمَ أخذت الأموال ورددتها؟ قال: وجدت في خزينتك شيئاً أبيض، فذقت منه فوجدته ملحاً، فما رأيت أن آخذ من مالك وأخونك بعد أن ذقت ملحك! فحصل له عند الأمير درهم التفات، فعند ذلك أثبته في ديوانه واستخدمه، واتخذه رأس العساكر، فلما توفي الليث ولي الأمير درهم مكانه لولده يعقوب، ولما توفي الأمير درهَم تولى مكانه السلطان يعقوب بن الليث، وانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته، [و34أ] فملك سجستان وبلاد فارس وكرمان وخراسان وبعض العراق وخوزستان، واتخذ نيسابور دار ملكه.

وكانت له سياسة لمن معه من الجيوش، سياسة لم يسمع بمثلها وحسن انقياد لأمره واستقامتهم لطاعته لما شملهم من إحسان وغمرهم من برِّه، وملئت قلوبهم من هيبته ورعبه. وفيما ذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بأرض فارس، وقد أباح الناس أن يرتعوا أدوابهم، ثم حدث أمر اوجب الرحيل عن تلك الأرض، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الحشيش، وانه رأى رجلاً من أصحابه قد اسرع الى دابته وهي ترعى الحشيش في فمها فأخرجه من فم الدابة، ومنعها أن تلوكه بعد سماعه النداء، وأقبل على الدابة مخاطباً لها بالفارسية: امير كفت اسبان سيز نابودند. وبالعربية أمر الامير بقطع الدواب عن الرعية. وأيضاً أنه رأى في عسكره رجلاً كان من قوّاده، والدرع على بدنه، لا ثوب تحته، فسأل عن ذلك، فقال: نادى منادي الأمير ألبسوا السلاح، وكنت عرياناً اغتسل من الجَنابة، فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب، فلبست الدرع امتثالا لأمره.

وقد كان اتخذ من أصحابه الف رجل، فجعلهم أصحاب اعمدة الذهب كل عمود منها الف مثقال، ومثلهم لأعمدة الفضة، فإذا كان في الأعياد أو عند رؤية الاعداء دفع اليهم تلك الأعمدة ومشوا في خدمته اجلالا له. وكان لايطلع سره أحد، ولا يعرف بتدبيره [و34ب] غيره، وأكثر نهاره خالٍ بنفسه يفكر فيما يدبره.

الفصل الثاني والثلاثون في ذكر الخلفاء بني أمية والعباسيين

وخلفاء بني أمية المقيمون بالشام، وعددهم أربعة عشر خليفة، ومدة خلافتهم نيف وثمانون سنة. والخلفاء العباسيون المقيمون بالعراق، عددهم سبعة وثلاثون خليفة، ومدة خلافتهم خمسمائة وأربع وعشرون سنة[1]. والمقيمون بمصر مدة خلافتهم مائتا وخمسة وخمسون سنة ونصف سنة. وأبو عبد الله السفاح هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، بويع له بالكوفة سنة اثنين وثلاثين ومائة، ثم انتقل إلى الأنبار (جانب الفرات)[2] وصيَّرها دار الخلافة، ثم مات ولم يكن له نسل، وصار أخوه خليفة، وهو أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد بن علي، وهو أبو الخلفاء العباسيين كلهم، وهو أول خليفة قرَّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وتُرجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية [ككتاب][3] كليلة ودمنة، وشرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف جريح بمكة ومالك بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن عمرويه وسَلَمَه وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، ودُوِّنت كتب بالعربية واللغة والتاريخ، وكان الائمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة.

في المتوكل على الله واسمه جعفر بن المعتصم، وكان سخياً عظيماً كريماً ما اعطى خليفة شاعرا مثله، وفيه يقول مروان بن أبي الحسن بيت: [و35أ]

فامسك ندى كفيك عني ولا تزد ... فقد خفت أن أطغى وان تجبراً

فقال: لا أمسك حتى يُغرقك جودي! وكان أجازه على قصيدةٍ بمائة الف دينار وعشرين الف دينار، وخمسين ثوباً.

ودخل عليه بن الجهم يوماً وبيده دُرّتان يقلبهما، ليس لهما نظير، فأنشده قصيدة فهاله فدحا اليه بدُرّةٍ، فقلَّبها ابن الجهم أيضاً، فقال له: المتوكل تستقنص

---

(1) في الأصل: اربع وستمائة سنة، والتصحيح من القرماني.

(2) زيادة من المؤلف لم ترد في القرماني.

(3) من القرماني.

بها هي والله خير من مائة ألف دينار؟ فقال: لا، ولكن فكرت في أبيات أعملها آخذ بها الاخرى، فقال: قل! فنظم:

سُرَّ من رأى اماماً عادلاً تغرق من بحاره البحار
الملك فيه وفي بيته ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرَّتان عليه كلتاهما تغار
لم تأت اليمين شيئاً إلاّ أتت مثلها اليسار

فدحا اليه الأخرى. قال المسعودي في أخبار الزمان: إن المتوكل كان منهمكاً في اللذات والشراب، وكان له أربعة آلاف سَرِيَّة، وطئ الجميع. وكان مشغوفا بفتيحة أم ولده المعتز، لا يصبر عنها ساعة، فوقفت يوماً وكتبت على خدها بالمسك جعفر، فتأملها المتوكل فأنشأ يقول: شعر:

وكاتبةٌ بالمسْك في الخَدِّ جعفراً بنفسى مَحَطُّ المسك من حيث أثرا
لئن أودَعَتْ سطراً من المسك خالها لقد أودعت قلبى من الحب أسطراً

[و35ب] في ذكر الواثق بالله، واسمه هارون ابو جعفر ابن المعتصم، وكان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان كثير الأكل جداً، وله مائدة من ذهب مؤلفة من أربع قطع، يحمل كل قطعة عشرون رجلا، وكان كل ما على المائدة من صَحن وصحيفةٍ من ذهب.

(واعلم[1] [أن] ملك الروم يدعى بقيصر، وملك الفرس بكسرى، والعرب بتيعٍّ، والمسلمون بالخليفة، والترك بخاقان، وملك الجرجان صول، وملك اذربيجان أصبهبد، وملك طبرستان سالار، وملك الديلم كابان، وملك الأنباط نمرود، وملك القبط فرعون، وملك اليمن والحبشة نجاشي.

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر بني طولون[2]

اعلم أن طولون كان من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني الى المأمون العباسي، وصار ابنه أحمد والٍ على مصر والشام وإفريقية. وكان كثير

---

(1) هذه الفقرة نقلها المؤلف من حديث القرماني عن الدولة الآخشيدية التالية.

(2) القرماني ص262.

الصدقات والعدل. واستمر مدة يجور ويعسف فاجتمعوا أهل مصر عند السيدة النفيسة، وشكوا من ظلمه، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غدٍ. فكتبت رقعة ووقفت في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون! فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فاذا فيها (ملكتم فأمرتم وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت اليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، واجساد أعريتموها، اعملوا ماشئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا مستجيرون، واظلموا (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ [و36أ] ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[1]. فعدل لوقته، ثم توفي وتولى مكانه ابنه خمارويه، ثم ابنه [أبو] جيش[2]، ثم أخوه هارون، ثم عمه ابو القاسم شيبان، وبه انقرضت دولة الطولونية.

الفصل الرابع والثلاثون في ذكر بني طغج[3]

[عبد الله][4] بن جف بن يلتكين بن قور بن خاقان صاحب سرير الذهب والقصر الجوهري، وقد كان المعتصم بالله العباسي جلب من فرغانة رجالاً اصطنعهم، وكان جف من جملتهم ولما مات جف كان ابنه طغج اصغر اولاده فولد محمد، وهو أول من استولى على مصر والشام، ولقب بالأخشيد والأصل آق شيد، معناه الشمس البيضاء، وكان شيخاً من شيوخ المعتزلة، واستولى عليه جوهر القائد [الذي] أتى من الغرب فانتزع الملك من أولاده.

الفصل الخامس والثلاثون في آل حمدان[5]

بنو حمدان من ربيعة، وعلي سيف الدولة كبيرهم وأميرهم، وواسطة عقدهم ونصيرهم، ووالده عبد الله أبو الهيجاء بن حمدان، تولى إمارة الحاج من جانب الخلفاء العباسيين، وتولى ابنه سيف الدولة كليب، وأخذ دمشق وأخوه ناصر الدولة الحسن تولى الموصل وما يتبعها واستمر ملك بني حمدان في بلاد حلب

---

(1) الأعراف آية 128.

(2) ان أبا الجيش هو كنية لخمارويه لا ابناً له.

(3) القرماني ص293.

(4) من القرماني.

(5) القرماني ص264-267.

والجزيرة وبلاد الموصل بالقرب من سبعين سنة، وكان بنو حمدان شيعة لكن تشيعهم خفياً[1].

(1) في القرماني: خفيفاً.

الباب الثالث

يتعلق في النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه ثلاثة فصول[1]

الفصل الاول يتعلق في ذكر رسله الى الملوك

[و36ب] أول من أرسله لملك من الملوك عمرو[2] بن أمية الضمري، أرسله الى النجاشي أصحمة ملك الحبشة، فلما قدم عليه نزل عن فراشه أدباً مع الكتاب، فأسلم وحسن إسلامه، وأركب النجاشي المهاجرين البحر، وساروا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سفينتين، مع عمرو بن أمية جميعاً، وزوَّج النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وكانت هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش فمات هناك، وقيل: عمرو بن أمية عقد النكاح للنبي صلى الله عليه وسلم ودفع مهرها النجاشي من عنده بدل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أربعة الاف درهم.

وأرسل المصطفى دحية الكلبي لقيصر ملك الروم، وهو هرقل، فخاف على ملكه فعصى واستكبر عن الايمان، لكنه أخذ كتابه -صلى الله عليه وسلم- ووضعه في قصبة من ذهب تعظيماً له، فدعا له المصطفى أن يثبت ملكه.

وأرسل حُذافة لكسرى واسمه فيروز، فقرأ الكتاب ثم مزَّقه مُنكراً عليه، فدعا عليه النبي بأن يُمزَّق مُلكه كل مُمزَّق، فمزقه الله.

وارسل المصطفى حاطبا للمقوقس ملك الاسكندرية، فقال المقوقس ملك الاسكندرية خيراً، أي قال: ننظر في أمر هذا الرجل، فإنه لا يأمر بمرهوب منه ولاينهى عن مرغوب فيه، ودنا أي قرب الى الإسلام ولم يؤمن. وأهدى الى النبي

---

(1) هذه الفصول لم ينقلها المؤلف من القرماني، كما فعل في البابين الأولين، وإنما من بعض كتب السيرة النبوية والراجح أنه لخصه من عز الدين بن جماعة الكتاني المختصر الكبير فى سيرة الرسول ص37.

(2) في الأصل: عمر.

صلى الله عليه وسلم هدية منها مارية القبطية واختها سيرين، مع هدية كثيرة منها ألف مثقال من ذهب، وقدح من قوارير، وظرف من عسل، وظرف من عسلٍ بَنْها العسل، ووصلت الهدية اليه سنة سبعٍ، وقيل: ثمان، قال ابن الأثير: ولم يُسلم المقوقس.

وأرسل المصطفى عمرو بن العاص الى ملكي عُمان [و37أ] بضم العين بن الجُلَندي، فلما قرأ كتابه أسلم، او صدّقا الرسول فيما جاء به، وخليا بين عمرو وبين الزكوة، اي مكناه من قبضها من رعاياهم.

وأرسل السليط لليمامة، لهوذة ملك بني حنيفة، فلما قرأ الكتاب أكرم الرسول، وأنزله عنده وحَيّاه وأجازه، وقال: ما أحسن ما يدعو اليه وأجمله، وأرسل يسأل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل له بعض الأمر، فلم يعط أي يجبه النبي -صلى الله عليه وسلم- الى ذلك، وجاء به جبرائيل الى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخبره أنه قضى على نصرانيته.

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي يلقى الحارث الغساني ملك البلقاء من عمل دمشق، فأتاه بالكتاب وهو بغوطة دمشق، فقرأه ثم رمى به، وقال من ينازع في ملكي؟ إني سائر اليه ولوكان باليمن! وعزم على ذلك، فرده قيصر، وهو هرقل، وقيل: انما أرسل شجاع الى جبلة الغساني آخر ملوك بني غسان، فلما قدم عليه قارب الامر لكن شغله الملك فلم يسلم، ثم أسلم في زمن عمر رضي الله عنه، ثم لطم عين رجل من مُزَينة، فقضى عمر -رضي الله عنه- بالقصاص، فأنف جبلة، وقال: عيني وعينه سواء، لا أقيم بهذه، ولحق بالروم ثم ارتد ومات كافراً.

وأرسل -صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين أبي أُمية المخزومي شقيق أم سَلمة زوجته الى الحارث عبيد كلال الحميري باليمن، وأمره أن يقرأ عليه سورة (لَمْ يَكُن)[1]، ففعل، فتردد، وقال: أنظر في أمري، وبعد ذلك هداه الله تعالى، فوَفَد على النبي - صلى الله عليه [وسلم]- مسلماً، فاعتنقه، وفرش له رداءه، وومقه أي

---

(1) هي سورة البينة، الآية 1 (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ).

احبه، فقال – صلى الله عليه وسلم – فيه: يقدم عليكم [و37ب] من هذا الفَج رجل كريم الجبين، صالح الجدين، فكان هو.

وأرسل – صلى الله عليه وسلم – [العلاء] بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى صاحب البحرين، وكان مع العلاء أبو هريرة، فانقاد المنذر لملة الإسلام، وهي ملة[1]. ووفد عام الفتح على المصطفى –صلى الله عليه وسلم– مع الجارودِ، وقيل: إنما قدم في سنة تسعٍ قد حَكوا هذا الخلاف ولم يُرجِّحوا.

وأرسل – صلى الله عليه وسلم– معاذ بن جبل المخزومي، وأبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري، الى مَخالف، بفتح الميم وخاء معجمة جمع مخلاف، وهي الكورة او الاقليم، فبعث كلا منهما إلى مخلاف، وتقاربا في المكانين، وقال لهما: يَسِّرا ولا تُعسِّر، أَو بَشِّر، و كونا طوعا اي تطاوعا، ولاتنفروا الخَلق عن الإسلام. فانطلق كلا منهما الى عمله، وقبلا وصيته

وأرسل – صلى الله عليه وسلم – جرير بن عبد الله البجلي نحو ذي الكلاع بالتخفيف، ونحو ذي عمرو يدعوهما الى الإسلام، ونعم الداعي جرير بن عبد الله داعياً لملة الاسلام، فأسلما لله باستسلامٍ اي بانقياد، دون محاربة. وتوفي المصطفى وجرير عندهم.

وارسل –صلى الله عليه وسلم– عمرو بن أُمية الضَّمري إلى مُسيلمة الكذاب باليمامة، فلم يرجع عن كذبه بل لزمه، ثم أرسل له كتابه مرة ثانية مع السائب بن عوَّام، أخى الزبير، فلم يكن مسيلمة بالتائب عن كذبه، ولا رجع عنه.

وأرسل – صلى الله عليه وسلم– بعده عَيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي الى بني عبد كلالٍ، وهم ثلاثة، فأقبل حتى انتهى الى ستورٍ عظامٍ على أبواب دورٍ، فقال: أنا رسولُ الله اليكم، فقبل كل واحد من الثلاثة كتابه وأسلموا، [و38أ] وهم نعيم والحارث ومسروح.

وأرسل المصطفى رُسُلاً أيضا لأنه كتب إلى عدة من الملوك والكتاب لابد له من رسول يذهب، لكن لم يُسَمَّ من يذهب به، فكتب لغزوة ابن عمرو الجذامي، وأفلح كل الفلاح حين أقر بالاسلام.

---

(1) كذا في الأصل.

وكتب لبني عمرو وهم من حمير، ولمعدي كرب الصحابي الجليل المشهور، وكذلك كتب لأساقف بنجران، ولمن أسلم من حَدَس وهم عَرَب.

وكتب الى ابن ضماد، واسمه خالد الأزدي. وكتب لعمرو بن حزم بن زيد من بني مالك بن النجار الرضي، استعمله المصطفى على نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة.

وكتب لنعيم بن أوس الداري بأن له حيرى، قرية بين وادي القرى والشام، وهذا الانقطاع عند أولاده قرنا بعد قرن ما ذهب منهم.

وكتب لزيد بن الطفيل الحارث أن له إيله ما أقام الصلوة وآتى الزكاة وحارب المشركين. وكتب لزياد ابن الحارث الحارثيين أن لهما جاء تأنيث الأجم، موضع من محال المدينة، وانهم آمنون ما أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وحاربوا المشركين(1).

الفصل الثاني يتعلق في أمرائه صلى الله عليه وسلم

أمَّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باذان على بلاد اليمن، وهو من قام بقتل الأسود العنسي، ثم أمّر ابنه شهراً، واستعمله على صنعاء واليمن، وأمَّر من المهاجرين أبا أمية المخزومي، واسمه الوليد، على صدقات كنْدة، بكسر الكاف، والصدف، فقيل أن سرى من المدينة لعمله مات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أمر زياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وأمر [و38ب] أبا موسى الاشعري، ولاه زبيد وعدن وزمع أرض باليمن، والساحل من أرض اليمن أيضاً. وكذا ولى معاذ بن جبل الجند، موضع باليمن، وولى عتاب بن أسَيد الأموي مكة، خير بلد على وجه الأرض، ولم يزل أميراً عليها حتى توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكذلك ولى أبا سفيان، واسمه صخر بن حرب، بعد ذلك الزمان على جد ونجران، مدينة بالحجاز من جهة اليمن، وهي أطيب بلاد الحجاز، وولى ابنه زيد أي استعمله على تيماء، فوق والد من امهات القرى، وأمر خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء اليمن، وكذلك أمر عمر أخاه على وادي القرى، وأمر الحكم أخاهما على قرى عرينة، بالاضافة، وكذا أعطى ابان بن سعيد منه، أي من عنده، الخُطا، ساحل بين

(1) في الأصل: وحاربوا مع المشركين وهو وهم، أو سبق قلم.

عمان الى البصرة، وهي قرية على ساحل البحرين. وكذا أمَّر عمرو بن العاص على عُمان بالتخفيف، وهي من اليمن وأما بالتشديد، عمّان البلقى من أكناف دمشق. وولى عثمان بن العاص على الطائف، وكذاك ولى محمية بن عبد يغوث بقضاء الأخماس، وولى علي بن أبي طالب القضاء، والأخماس الأربعة، وضرب بيده في صدره، وقال: اللهم إهد قلبه وسدِّده، فكان في القضاء رأساً، وكذا أمر عدي بن حاتم على صدقات قومه طيء، وولى غيره من أمراء الصدقة بجمع الصدقات من قبائل متفرقة. وأمَّر أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- على الحج بالناس سنة تسعٍ من الهجرة. ولما نزل العرج أدركه علي -رضي الله عنه- فقال له أبو بكر: فيم جئت؟ قال: مبلغا للناس في النداء لا أميرا عليهم، بأن أنادي [و39أ] أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عَريان، واقرأ على الناس سورة براءة .

الفصل الثالث يتعلق في ذكر سلاحه صلى الله عليه وسلم(1)

كان له - صلى الله عليه وسلم- خمسة أرماح، ثلاثة غنمها من بني قينُقاع، والرابع يسمى المثوى، والخامس يسمى المثنى، وكان له -صلى الله عليه وسلم- من القسي خمس، الروحاء، وقوس بيضاء من شوحط، أصابها من بني قينقاع، وقوس صفراء من نبعٍ والكتوم، وسميت به لانخفاض صوتها إذا رمى عنها، والزوراء. وكان له - صلى الله عليه وسلم- قوس أهدي له، وبه تمثال عقاب وكبش فكرهه، فوضع يده الشريفة عليه، فأذهب الله ذلك التمثال معجزة له. وكانت له -صلى الله عليه وسلم- ترس له اللزوق سمي به لكون السلاح يلزق بها ولايخرقها، وله ترس اسمه الفتق. وكان أتراسه ثلاثة، وأما اسيافه -صلى الله عليه وسلم- فالحتف، أصابه من سلاح بني قينقاع، وذو الفقار وسمي لفقرات في وسط ظهره، كان للعاص بن منبه، فغنمه يوم بدر، ومأثور ورثه من أبيه، والعضب أرسله اليه سعد بن عبادة عند توجهه لبدرٍ، والبتّار وكان لبني قينقاع، وكذا المحذم، والمحذم القاطع، والرسوب، أصابهما مما كان على الفاس صنم، والقلعي نسبة الى مرج القلعة بالبادية، ولم يكن له اسم، والقضيب، فهذه تسعة أسياف، وقيل انما هو المشوق الذي شوحط، وكان بأيدي الخلفاء العباسيين. وأما أدراعه فسبعة،

(1) الراجح أنه لخصه من عز الدين بن جماعة الكتاني المختصر الكبير فى سيرة الرسول ص37.

السخدية أصابها من بني قينقاع، وكانت درع داود التي لبسها لقتال [و40ب] جالوت، وذات الفضول سُمِّيت به لطولها، أرسلها إليه سعد بن عُباده عن سيره الى يرد، وذات فضة، وذات الحواشي، ولم يكن كفوءا في الحسن، وذات الوشاح، والخرنق، والبتراء، وكانت له -صلى الله عليه وسلم- مِنطقة من أديم مبشور بها ثلاث حلق من فضة، وابزيمها فضة، وطرفها فضة.

وكانت له راية تسمى العقاب سوداء، أي غالب لونها السواد، بحيث ترى من بعيد سوداء لأن لونها كان أسود خالصاً، وكانت مربعة، وكانت رايته تسمى النمر، وراية سوداء، وكان مكتوباً على راياته: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، وكانت له ألوية بيض وكذا سُود، وربما اتخذ بعضها أغبر بين البياض والسواد، والمنطقة ما يُشدّ على وسطه، ويسميها الناس الحياصة، والأديم الجلد المدبوغ، والراية العَلَم الكبير، واللواء العَلَم الصغير. وكان له -صلى الله عليه وسلم- حِراب عدة، فمنها حربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة صغيرة دون الرمح تسمى عنزة.

الباب الرابع

يتعلق في ذكر الوزير الجليل سليمان باشا والي البصرة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول يتعلق في ذكر الوزير المرحوم أحمد باشا بن حسن باشا والي بغداد

قد كان أحمد باشا(1)، الوزير المعظم، والضرغام الأفخم، والشمس على القمر، شريف النفس والهمَم، كريم الأخلاق والشيَم، وطئ الكَنَف، نزع الطرف، خصب الرحال، نفذ الآمال، له صدرٌ يضيق عند الدهناء، ويفزع إليه الدَهماء، وله في كل مكرمة مكرمة غُرّة الأوضاح، ومن كل فضيلة قادمة الجناح، وله صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح، وتجل عن وصف [و40أ] الترشيح، ثم هو من بين أقرانه وزراء آل عثمان ، ذوي المجد والشأن، بيت القصيدة، وأول الجريدة، وعين الكتبة وواسطة القلادة، ودُرَّة التاج، ونقش الفُص، وملح الأرض، ودِرع الملّة ولسان الشريعة، ماله للعُفاة(2) مُباح، وفعله في ظلمة الدهر مصباح.

وقد ادعي أن ليس في الناس مثله　　　فلا تنكروا أو كذبوني بواحد

حميد الفعال، فريد الأحوال، ذو همَّة لو نزرت لم تسَعَها الأرض مضطَرَباً، وسجية لو برزت لم تحوِها الأقلام كتبا، فلا جَرَم أنه لما نَزَع بُرَد الحداثة، ولبس خَدّاه طوق الشهامة، رأى السلطان أن يجذب بصنيعه الى حيث اقتضته الفراسة، واستدعته الرعاية به، والعناية له، فاسترجحه تاج الاستخلاف مكان والده حسن باشا على عراق العرب.

---

(1) مؤسس نظام المماليك في بغداد وتوابعها، تنظر المقدمة، وكتب عبد الرحمن السويدي سيرته في كتابه (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء)، وترددت أخباره في ضمن حوادث عصره، وأهمها كتاب (كلشن خلفا) لمؤلفه مرتضى نظمي زاده، ومؤلفات ياسين العمري، ومنها (الدر المكنون) و(الآثار الجلية في الحوادث الأرضية) و(عمدة البيان في تصاريف البيان) و(قرة العين في تراجم الحسن والحسين) و(غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام).

(2) العفاة: الأضياف وطلاب المعروف.

وكانت وفاة والده في بلاد العجم، وهو إذ ذاك والى قيادة العساكر العثمانية، غازياً على العجم، وكان ذلك لسنة الف ومائة وستة وثلثين[1]، وفوّض إليه الوزارة على مَيْعة شبابه[2]، فقام بها قيام الحَدِب الشفيق، وكفلها بمناصحته كفالة المؤيَّد بالنصر والتوفيق، فاشتدت مسيرته، وجدت في العدل بصيرته، وعمَّ رفقه، وشمل لطفه، حتى انطلقت لشكره ألسنة الأنام، الخاص والعام، ثم أريحه السلطان أيضا سياسة العسكر رتبة والده المرحوم، مع حداثة سنِّه إذ لم يكن من الوزراء، أوقر منه حَصاة، وأوفى منه أناة، وأصلب قناة، وأصدق تقاة، وأرضى سيرة، وأذكر بصراً وبصيرة، [و40ب] وأزكى علماً وسريرة، وأتم جلالة وجزالة، وأعم سياسة وحراسة، نعم! ولا أقوى منه جناناً وأندى نباتاً، وأجرى لساناً، وأعدل عقاباً وإحساناً، وحدا عليه ببني الآمال[3] من أطراف البلاد، فوَسِعهم جداً برَغمهم نَداه، وكتبت لهم أماناً من الفقر يداه، فأطبقوا على طاعته، وتراضوا عن طيب برياسته، وتناهبوا شكراً لله تعالى على ما أتاحه من بركات سيادته، ثقة بما اشتهر في الآفاق من مناقبه الغُر، وضرايبه الزهر، وافضاله المسطورة على صفحات الدهر، فدبَّر الأمور بصرامته، ونظم المنثور بفرط حزامته، وتألف الجمهور برفق سياسته وزعامته.

ونهض بما قلد من طوق الايناس نحو العجم[4]، كالسهم صادراً عن وَتَرِه، والسَيل ماثلا إلى منحدره، وسار في هيئة راقت العيون، وهيبةٍ راعت القلوب، برجال تُوزن آحادهم بآلافٍ، وأفرادهم بأضعاف، يَرَون المَلاحم ولائم، والوقائع نقائع[5]، وصفوف الغُراب عرائس، وصنوف الكُماة فرائس، ربَّتهم الحروب في حجورها، وأرهفتهم التجارب من شطورها، جنس الطواويس من وميض الحديد، ولمعان الحمر والبيض.

---

(1) توفي تحت أسوار همدان ،محاصراً لها، في غرة جمادى الآخرة من هذه السنة، الموافق، ونقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن قرب مرقد الإمام الأعظم. تاريخ كوجك جلبي زاده ص180 ودوحة الوزراء وحديقة الزوراء

(2) وجهت إليه الوزارة مع القيادة العامة في 23 جمادى الآخرة من السنة نفسها.

(3) كذا في الأصل.

(4) التحق بالجبهة في همدان في 7 شوال من سنة 1136هـ.

(5) النقيع: الماء والشراب.

ولقد بلغ ملك العجم الشاه طهماز[1] خبره، فضاق عليه الحال، وانسد دونَ رائه المجال، ففكر ودبَّر، ثم عزم وقرَّر، ونادى فحشر وثار على استقباله، عازما على قتاله، بعسكر كالنمل منثوراً، وكالجراد مبثوثاً محشوراً، لم يزل يزحف الفريقان بعضهم إلى بعض حتَّى إذا تراءى الجمعان، واصطف الفريقان، حثَّ الوزير أولياء الله المؤمنين [و41أ] على الفَجَرة المتمردين، فأجابوه سراعاً بقلوب محشوة بالدين، مملوءة من صدق اليقين، فما لبث الحرب هنيئة إلاَّ وقد انقضوا عليهم انقضاض الصقور، على بغاث[2] الطيور، وفرقوهم بدداً، وجعلوهم طرائق قدداً، ضرباً بالسيوف البواتك، وطعناً بالرماح الفواتك، ورضّاً للهام من تحت الترائك، لم يضعوا نبالهم إلاّ في منافس الأشداق، ومواضع الثغر والأحداق، وافشق[3] العور، والقتل والحور[4]. وانفعل الشاه عنهم هزيماً، وحث مركب النجاء

---

(1) هو (طهماسب ميرزا) آخر سلاطين الدولة الصفوية، تولى العرش سنة 142هـ/1727م، وقتله نادرشاه سنة 1145هـ/1732م.

(2) طائر صغير لونه لون الغُبار ، بطيء الطَّيران ، طويل العنق.

(3) فشق: كسر.

(4) كذا في الأصل، ونقول: عاصر عبد الرحمن السويدي هذه الحوادث، ومنها تقدم جيش أحمد باشا في إيران، ونقل ممن شارك في هذه الحملة معلوماته فقال في حديقة الزوراء ص314 « وعلى راس الأربعين [يريد 1140هـ] أمر بالمسير إلى الجهاد، واغتنام الأجر الكبير وتخليص هاتيك البلاد، فسار بذلك الخميس يفري الصحاصح الطامسة الأعلام، ويمتطي الوهاد والآكام، ولما أشرف بليوث العرين الفرسان، ودخل خانقين حمى كرمان شاهان، أطاعه أهلها فرحاً وسروراً، إذ لم يحل بهم سابقاً ضررا وشرورا، وسلموه مفاتيح البلدة، ولم يستحسنوا كفه ورده، علماً منهم أن نير سعده مطالع فلك الإقبال، وكوكب مجده ساجم طالع الغلبة على كل حال. فلما دخل كرمان شاهان جلس فينة للإستراحة من وعثاء السفر، وأمر بالنزول جميع العسكر، ثم قفل بأشباله وكماته وأبطاله، وأم همذان إذ حل قريباً منها شاه أصفهان [يريد: الشاه طهماسب الصفوي]، فلما قاربها رآها متأهبة للحصار، متحصنة لالرجال والنار، وإن الشاه قادم من ناحية أصفهان، وأنه لم يصل بعد إلى همذان إلا أن بينها وبينه مقدار ثلاثة ايام، فحينئذ جمع الدستور وجوه الأمراء ورؤساء الجند العقلاء، فأحدقوا به وقوفاً، وصفوا حوله مئات وألوفاً، فقال: إني قد جمعتكم لأمر أستشيركم في تدبيره، إذ ما ندم من استشار، وأستخيركم في حصوله وتيسيره، إذ ما خاب من استخبر واستخار، هذه همذان قد ملئت رجالاً وأبطالاً، وإنها قد تحصنت أشد من تحصنها بالأمس، وتأهبت أكثر من تأهبها الأول بالعدة والنفس، وهذا الشاه قد أقبلت طليعته، وقربت عصابته وكتيبته،

حرصاً هشيماً، حتى فرشت البيداء بجثث القتلى بين جريح بحَدّي الحسام، وطريح من هَوْل ذلك المقام[1]، (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا)[2]، وضبط عدة من بلادهم أقام فيها شعار المسلمين، وأماط عنها كفر المُلحدين[3]، ثم عاد الى دار السلام خافقاً بالنصر لواؤه[4]، وشارقاً بالنجم ضياؤه، وذلك فضل الله الذي أعزَّ به الدين، وأذلَّ الإلحاد والملحدين، والحمد لله رب العالمين[5].

الفصل الثاني يتعلق في ذكر حصار بغداد الكائن في سنة 1145[6] وفي ذكر تاريخ وفاة الوزير أحمد باشا ومدة ولاته وولاء والده.

قد كان نادرشاه من أعيان وزراء الشاه طهماز المتقدم ذكره، أوْلاه سياسة جيوشه وعساكره، وتدبير نظام مملكته وأموره. ولقد لقبه باسمه لنجابة صدرت عنه[7]، فبعد ما رجع الوزير أحمد باشا -رحمه الله تعالى- حرّكته الأنَفة طلباً

فأي الأمرين نبادره، أحصار همذان وشن الغارة عليها، أم قتال الشاه، فما رأيكم، فسكت الجميع عن الجواب، إلا شيخ منهم بادره بالخطاب، فقال: الرأي أن نحارب الشاه أولاً، فإن نحن غلبنا استولينا على همذان وجميع ما في إيران من البلدان، وإن غلبنا لن نقدر على فتح قرية فضلاً عن أمصار أصفهان.. فقال الوزير: هذا الذي حاك في صدري، وانطوى عليه سجف سري، فسار بالجنود المنصورة، والعساكر المجبورة المحبورة».

(1) وصف السويدي خسائر الإيرانيين في حديقة الزوراء ص317.

(2) سورة الأحزاب، الآية62.

(3) حديقة الزوراء ص314 ورسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص26. ويذكر المؤرخ العثماني شمعداني زاده أن تاريخ المعركة هو في 13 ربيع الأول سنة 1144هـ/ 23 أيلول 1731م. مرأى التواريخ، مخطوط في مكتبة جامعة القاهرة، الورقة 148.

(4) وصف السويدي دخول أحمد باشا بغداد وسجل ما قاله الشعراء بتلك المناسبة. حديقة الزوراء ص318-329.

(5) في الأمر الموجه إلى أحمد باشا بتاريخ الأول من ربيع الأول سنة 1143 (الآرشيف العثماني، دفتر مهمة 136 ص221) أن الشاه الإيراني بعث رسوله إلى استانبول برسالة فيها عقد اتفاقية الصلح والمسالمة بين الطرفين، وقد زوده السلطان ببعض الشروط، «وحتى الآن لم يرد أي رد من الشاه الإيراني عليها».

(6) في الأصل: 45.

(7) وهو (طهماسب قولي خان) أي عبد طهماسب.

للثأر، ودفعاً عن للعار، وتشجيعاً للأنصار، فجمع الخيول الى الخيول، من الجبال والسهول، تاركاً المهزول والمعلول، [و41ب] آمراً بضم الأطراف وكفت الذيول[1]، وثار بهم نحو العراق قاصداً دار السلام.

ولقد كان بلغ الوزير أحمد خبره في خبث نحلته، ودخل دخلة ودخس[2] اعتقاده، وقبح إلحاده، فضاق صدره خوفاً على المسلمين من بأسه الشديد، ومكره المكيد، فتمسك بحبل الله المتين (فاللّهُ خَيْرٌ حَافظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ)[3]، إذ جيوشه قد تفرَّقت، وعساكره قد عتقت، وسار الى نزل الجانب الشرقي من بغداد، وذلك في شهر شعبان لسنة الف ومائة وخمسة وأربعين[4]، فوقع القوم في ضَنَك البلاء، وخيفة اللأواء[5]، فوقتئذ أبت مروءة الوزير إلاّ عن مبارزته، وأقسمت سجيته إلا عن مطارحته، فبارزه بخاصَّته ملياً، ولم يكونوا إلاّ نبذة من خيوله، فتناوشا الحرب بينهما طراحاً، وأنشبا الضرب رؤوساً وصفاحاً، ووقع الرَّضّ والطعن، والهض[6] والطحن.

ووقع من الفريقين قتلاء غير يسير، فرأى الوزير الاصلاح أن يُغلق الأبواب، وأن يناوشهم الحرب من وراء حجاب، فانبرى مستحفظاً بها بقلب جريء، وأنف حمي، وعزم ذكيٍ، ورأى بالصواب وديّ[7]، إلى أن ضاق الحال بالخَلق، فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤس الكناسات، تعللاً بها، ومهما ذبح قصاب ذبيحة من الخيل أو البغال أو الحمير اجتمع عليه الفَوْج بعد الفوج، يتقاسمون نجيعها[8] تسكينا لِحَرَّة الجوع، واجتزاء به عن القوت، ولم ينل منه أحد إلاّ سقط لجنبه،

---

(1) كفت: ضم بعضها إلى بعض.

(2) الدخس: الورم في الحافر.

(3) سورة يوسف، الآية 64.

(4) ويوفق أوله 17 كانون الثاني 1733م وذكر عبد الرحمن السويدي أن نادرشاه «نزل فحاصر بغداد في الخامس والعشرين من رجب هذه السنة» أي سنة 1145هـ ويوافق 10 كانون الثاني 1723م. حديقة الزوراء ص341.

(5) اللأواء: شدة الحرب.

(6) الهض: الكسر والدقز

(7) الوري هنا : السمين.

(8) النجيع: دم الجوف.

وجاد عن كثب بنفسه. ووصلت قيمة [و42أ] وزنة بغداد[1] هنالك إلى مائتين وخمسين غرشاً. وترى الناس بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداهنون الخبز، أو يذون على انفسهم، حتى تغور عيونهم، وتجب للموت جنوبهم، واستحكم اليأس عن جل عقالهم، وانقطعت الأطماع عن قرع باب خلاصهم[2].

وكان الوزير لم يزل يستطير بالاخبار عن كيفية حالهم الى الدولة العلية العثمانية، يستمد العسكر لدفع هذه الغمة عن هذه الأمة، الى أن أدركهم فرج الله بالعساكر المنصورة العثمانية، وكان والي قيادتها إذاً طوبال عثمان باشا[3]، فلما أشرف على نادر شاه طارحه الحرب، وأرهقه الكفاح، أجفل اجفلال الظلم، واقتسمت الهزيمة أصحابه بين القتل والتنكيل، والأسر والتذليل، وولى بلاده منهزماً، ومن مرامه خاوياً، وذلك في أوائل صفر لسنة ألف ومائة وستة واربعين[4]. فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى نشأ نشأة ثانية أعاد فيها الإعادة، واثنى الاثارة، بعد أن

(1) كانت وزنة بغداد في مفتتح القرن التاسع عشر تعدل أربعة أمنان، ويعدل المن 3,275 كغم، فتكون الوزنة 100،13 كغم. هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970 ص46.

(2) أجاد المؤلف في وصف حالة الضيق والجوع الشديد الذي أصاب أهل بغداد في أثناء هذا الحصار الخانق الذي فرضه على مدينتهم نادرشاه، وقال عبد الرحمن السويدي «ومع هذا الجوع العظيم، والهلاك العميم، أهل بغداد لم يطأطئوا للملعون رأساً، ولم يظهروا له حزناً وبأساً، بل يظهرون الغنى، وينفون العناء، محافظون السور، مانعون العدو من الدخول والعبور». حديقة الزوراء ص353.

(3) طوبال: لفظ تركي بمعنى الأعرج، قائد عثماني كبير، ولد في سنة 1104هـ/1692م، وتقلب في المناصب الإدارية في الروميلي، أي الممتلكات العثمانية في أوربا، ثم نال رتبة الوزراء، وتقلد الصدارة العظمى، لكنه عزل وولي تبريز، في أثناء سيطرة العثمانيين عليها، ثم أرضروم وتفليس، وولي قيادة الجيش الذي أرسل لفك حصار نادرشاه عن بغداد، وقد استطاع أن يدحر جيش نادرشاه في معركة شرسة عند شاطئ نهر العظيم، في أدنى مدينة كركوك، وأن يدمر معسكره، وأن يفك الأسرى ومنهم نساء هناك، ويمضي إلى بغداد ليدخلها بعد سبعة أشهر من الحصار. حديقة الزوراء ص364 ودوحة الوزراء ص34-35 وشمس الدين سامي: قاموس الأعلام ص3127، ومحمد ثريا: سجل عثماني، استانبول 1308، ص28.

(4) وصل خبر هزيمة نادرشاه ونهب معسكره إلى بغداد في 7 صفر سنة 1146هـ/29 تموز 1733م. حديقة الزوراء ص364.

الاثارة، بعد أن ألوى[1] عسكر الروم[2] عنان العَوْد والرجوع، وتفرقوا شعباً[3]، فاشتد الحال على أهل الزوراء، واستفزهم الرعب والوجل، وألوىّ أحلامهم الخوف والوهل، فإذ لم يسع الوزير -رحمه الله- إلاّ أنه يجذب مصافاته، ويشذب مكائد قومه، فإنه صوناً للملك والدين، وحفظاً لأعراض المسلمين، وجبرا لضعف الفقراء والمساكين، فأرسل بتحف ميار[4] موفودة على صدق الاخلاص، وصفو الامخاض، مقصورة بطلب صلحه، فأجابه مطاوعةً لما أمر[5]، ومتابعة لما رسم وحرَّر، وسار عن ذلك قريباً بعد أن وصل زائراً رابع الخلفاء، وولده الشهيد بكربلاء، رضي الله عنهما .

ولم يَزَل على ذلك يُهاديه ويُحابيه ويصافيه، ويردد السفراء على ربابة هذه الحال، وتوكيد عقدة الوصال، مستكفاً شرّه، مستدفعاً بؤسه وضُرّه إلى أن قتل، وذلك لسنة وفاة الوزير المرحوم أحمد باشا، وكانت وفاته على شاطيء ديالة في الساعة الثامنة من يوم الخميس من اليوم الرابع عشر من شهر شوال لسنة الف ومائة وستين[6]. وكنت أرخت وفاته في لفظة (غسق) من قولي:

تميت غسق الكون لانعدام ضياه   أحمد الخلق ارخا غسق[7]

---

(1) ألوى بهم: أهلكهم.

(2) الروم مصطلح أريد به في هذا العصر: الترك.

(3) وكان طوبال باشا قد قدر الموقف على أساس أن الجيش الايراني لن يستطيع مواصلة القتال مرة أخرى، فعاد معظم الجيش العثماني إلى مقراته في المدن المتباعدة التي جمع منها، على أن نادرشاه نجح في تجميع قواه وباغت ما تبقى من هذا الجيش، في معركة سريعة جرت في أطراف كركوك من سهل العظيم، فقتل طوبال في المعركة، ويذكر المؤرخون العثمانيون (شمس الدين سامي: قاموس الأعلام ص3127، ومحمد ثريا: سجل عثماني، استانبول 1308، ص28) أنه دفن في شهرزور، حيث لقي مصرعه، وشمس الدين سامي: قاموس الأعلام ص3127، ومحمد ثريا: سجل عثماني، استانبول 1308، ص28 بينما ذكر لونكريك أن نادرشاه أمر بإرسال جثته إلى بغداد برفقة أحد الأسرى (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ص179).

(4) الميار: جامع الميرة أي المؤن.

(5) طلب نادرشاه الصلح بسبب ما وصل إلى علمه من اضطراب الأحوال في بلاده، نتيجة تمرد بلوج خان ومحاولته الاستيلاء على الحكم. دوحة الوزراء ص35.

(6) الموافق 18 تشرين الأول سنة 1747م.

(7) غ = 1000، س:60، ق: 100، فالمجموع 1160.

وكانت مدة ولائه ببغداد اثنين وعشرين سنة[1]، ومدة ولاء والده حسن باشا أحدى وعشرون سنة[2]، رحمهما الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهما الجنة دار القرار، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً آمين.

الفصل الثالث يتعلق في ذكر صفات الوزير المعظم تاج الوزراء سليمان باشا عظم الله شأنه وأعلى سلطانه وبلغه ماتمناه[3]

الراجح في موازين العقل السابق في ميادين الفضل، المُستَرضِع ثدي المجد المُفترِش حجر الفضل، الواسع الحلم، الجميل السِّلم، الذي لم تستهو في الحداثة، ولا قصرت به همة عن السمّو إلى كل منزلة للدولة العلية العثمانية، غُرّة تلك الدولة، وإنسان [و43أ] تلك المقلة، وطراز تلك الحلة[4]، لما رزقه الله من محاسن الشيم، والفوز بمعالي الهِمَم، والسخاء بمعاظم الجود والكرم، قد جمع الله له من الميل الى خصائص الأدب، والبعد عن مكامن الرِّيَب، ما دلَّ على أنه واحد زمانه، وشرف أقرانه، وفخر سلطانه، هو الذي تحيى القلوب بلقائه قبل أن تأمن الفقر بعطائه، وهو البحر بن السحاب، والبدر بن الشهاب، والضرغام الذي لا يشوبه الطراح[5] جفاء، والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء[6]، والسيف الذي لا يألف القراب

---

(1) تولى بغداد مرتين، الأولى من 1136هـ إلى 1147هـ/1724-1734م والأخرى من 1149هـ إلى 1160هـ/1736-1747م.

(2) تولى بغداد من 13 صفر سنة 1116هـ/1704م إلى 1136هـ/1704-1724م؛

(3) تنظر مقدمتنا لهذا الكتاب. وأخباره في مصادر عصره، وأهمها رسول حاوي الكركوكلي:دوحة الوزراء ص106-132 وياسين العمري: زبدة الآثار الجلية ص108-110، 119-120، 138، 167، 228-229 والدر المكنون، الورقة 303-306، وغاية المرام ص183-184 ومجهول: روضة الأخبار ص21-25 وسليمان فائق: تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمة محمد نجيب أرمنازي، بغداد 1961، ص16-35 فائق: مرآة الزوراء في سيرة الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس، نشر بعنوان (تاريخ بغداد) بغداد 1962، ص17، 29، 163، 164، غير ذلك.

(4) الحلة: الثوب الجديد الجيد.

(5) الطراح: المكان البعيد.

(6) الذكاء هنا: الجمر الملتهب.

مضاءً، والسعد[1] الذي يلي وتد السماء نكاء ونماء، فعطارد تلميذ شهامته، والمشتري مشتري من سعادته، وثاقب النجم عبد دهائه، وشارق الشمس خادم رائه وروائه، ففي نموّ الظلم وشبا[2] شبوب النار فوق العَلَم، وصفا صفاءَ الماء ، مرشوما[3] على الفدم[4]، إن له همة على هام الجوزاء مرفوعة، ونية عَلَىَ على صدقِ الولاء مطبوعة، وشجاعة على أفراس الضياغم منزوعة، وسعادة الخافقين مسموعة، على أن من تقدمه من الوزراء، ومن كان في زمانه لو نشروا في صفحات المدح، ونكتات النجم بالضم والطرح، لكان كطراز الفجر للظلام، وكالإضاءة للقيام. وله من سماحة الكف ما لم يبلغه الأوائل والأواخر، بل ومن النظر في مرآة الدفاتر: شعر:

يفنى الكلامُ ولا يُحيط بوصفه   أيَحيطُ ما يفنى بما لا ينفدُ

[و43ب] لو كان رقية بن مصقلة العبدي[5]، وصَعصَعة بن صَولجان[6]، وخالد بن صفوان الاتهمي[7]، وابن لسان الجمرة[8]، لا تقطعوا دون وصف مناقبه، ولعلو مجده وسُمو سعده، فلذ المرحوم أحمد باشا فلذة من كبده، وسمح له بالزهرة الغرّاء[9]، من نجوم ولده[1] ، وأي نجم كان فلك المعالي مَددَه، لم تبعد داره الى مدار

---

(1) السعود، وأحدها سعد: كواكب .

(2) شبا النار أشعلها .

(3) رشم: وسم وكتب.

(4) الفدم: القرية والدن.

(5) مصقلة بن كرب بن رقية بن حيفة، من خطباء العرب، صحابي قتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(6) صعصعة بن صولجان العبدي، صحابي روى الحديث، ولد سنة 24 قبل الهجرة، وتوفي سنة 55هـ.

(7) خالد بن صفوان بن عبد الله، ابن الأهتم التميمي المنقري، من فصحاء العرب، توفي سنة 123هـ.

(8) هو ورقاء عبد الله بن حصين بن ربيعة، من كبار النسابين، عاش في القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة.

(9) هي عادلة حانم، ابنة أحمد باشا، نوه بها عبد الرحمن السويدي فقال:صالحة وقتها وزمانها، وزاهدة عصرها وأوانها، كريمة الشمائل، جميلة الخصائل، ذات الجمال الباهر،

مدار النجوم والأفلاك، وأزواج الملكات الأملاك، وجرى من الإستبشار باتحاد النفوس، وصب الميار[2] الغرار، كالغيوث الغرار[3]، ما أرّخ به كتاب الدهر، ورسم بذكره سالفة العصر.

ثم ولاه على ما في تحت كفالته من عراق العرب لتدبير عشائر العُربان، وأصناف أهل البلدان، فنهض بذلك رشيد السيرة، حميد السريرة، عادل الطريقة، فاضل الخليقة، خليقاً بالوكالة على الحقيقة، وعمَّ به الأمن والسكون، وشمل به العدل والهدون[4]، ومهما أظهرت من العشائر فئة الفساد، ركب عليهم ركوب العاصف أكتاف الجهام والفارغ يطوي الأرض طي المهارق[5]، حتى يكشف

والكمال الظاهر، والحلم الوافر، والعقل المتكاثر، والحسب الذي أربى على غمدان، وناف على الخورنق وشهلان، العفيفة المدينة، ذات الأخلاق الحسنة، عادلة خانم» حديقة الوزراء ص329. وأثنى عليها أيضاً أخوه محمد سعيد السويدي فقال « العالمة العارفة العليمة الكاتبة، أم الخيرات، وصاحبة المَبَرَّات، الدُرَّة المصونة، والفريدة المكنونة، عادلة خانم بنت الوزير أحمد باشا المذكور[9]، ضوعفت له الأجور، فعَقد نكاحها عليه، وعمل لها أفراحاً وزينة ما عهد مثلها إلاّ لبنات السلاطين، فحظي بها المترجَم، وحَظي عند سيده الوزير المذكور [بـ]مكانة رفيعة». وورود حديقة الوزراء، مخطوط حققناه وهو تحت الطبعووصفها مؤرخ غير معروف، لا نظنه إلا ياسين العمري الموصلي، بقوله «أم الخيرات، زبيدة العصر». روضة الأخبار ص25. قلنا: تمتعت عادلة خاتون بشخصية قوية أثرت في حكم زوجها سليمان باشا المذكور، فأدت أدوراً سياسية مهمة، وكان لها أتباعها المؤثرين في الحياة العامة، ومن مآثرها الخيرية الكثيرة إنشاؤها جامعين كبيرين في بغداد في السنوات 1163-1168هـ/1749-1754م، نسبا إليها، أحدهما ضم مدرسة وخزانة كتب، فضلاً عن ثلاثة خانات تجارية، ودار لإقامة قضاة بغداد قرب المحكمة الشرعية، وسقاية للماء تأخذ من بئر عميقة تقع عند شاطئ النهر، بواسطة دولاب، كما أنشأت خاناً في منطقة قوش تبه على الطريق بين كركوك وأربيل، صار سبباً لنهوض قرية بهذا الاسم (والآن هي بلدة زاهرة)، وقد وقفت على منشآتها الخيرية هذه أراض واسعة ومستغلات نافعة، رصدتها في وقفياتها الحافلة بالعقارات والبساتين والأرضين. وكنا قد ألفنا كتاباً في سيرتها بعنوان (عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق)، طبع ببغداد سنة 1997، 86 ص، ونعد طبعة موسعة منه الآن.

(1) لم يكن لأحمد باشا من الولد عدا عادلة المذكورة غير أختها الصغرى عائشة خاتون.

(2) الميار: جمع الميرة، وهي المؤونة.

(3) الأمطار التي تنهال بسرعة.

(4) الهدون: الهدوء.

(5) الصحراء الملساء.

صفوفهم، ويرغم بالذل أنوفهم، بسيوف تلغ في الدماء، وترتشف أحساء الأحشاء[1]. ومن هيبته استحالت قواهم هباء، وطارت قلوبهم هواء، وترى وردهم دائما (لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)[2] وذلك لصميم قلوبهم لازم.

وبعد انتقال الوزير أحمد باشا الى جوار ربه، نشطت همّته، عند مُكابَدات الأعداء، وعلا سَعدُه على فلك السماء، ولا جَرَم إن الله حماه [و44أ] وصانه، وأرأف به سلطانه، وعمَّر بالعز مكانه، ووصم من شان شأنه، مَتعنا الله بولائه بدار السلام وطول حياته، وأرغم أنوف حُسّاده وعُداته، وجعله من الفائزين يوم الدين آمين، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) عرف سليمان باشا بأبو ليلة، وأبو سمرة، ودواس الليل، لقيامه بشن حملات ليلية ناجحة على بعض العشائر التي كان تعلن (تمردها) على سلطة الدولة، أو تقطع طرق المواصلات. دوحة الوزراء ص132 وذكر الرحالة هويد في هذا الصدد «أظهر سليمان قسوة وحزماً كبيرين تجاه العرب، وكان دوماً يهاجمهم فجأة لدرجة لا يكادون يجدون الوقت للفرار إلى الصحراء. رحلة من ساحل مالابار إلى القسطنطينية، ترجمة سعاد محمد خضر، السليمانية2011، ص136.

(2) النمل، الآية 18.

خاتمة

اعلم أن أهل الآفاق والأمصار طبائعهم وغرائز أخلاقهم شتى، ولكل قوم من أهل القرى والأمصار خلق وطبع قد عمَّ وغلب عليهم، سيما عامتهم[1]، فأهل مصر تغلب عليهم الغفلة ونقص الغيرة وقلة الفطنة وظهور الشّح ودناءة النفس وكثرة الشبق في النساء، وفيهم المحاكاة والتَحيُل وقلة الإعتناء بالأمور، ولا يكادون يحققون علماً، ولا يُعمِّقون في بحث.

أهل برير فطنون غلاظ، حريصون، حفاظ، أشحاء كذابون جُفاة، ونسائهم لطاف، والمكر فيهم قليل.

أهل الشام غفول متكبرون منذرون ممارون شرهون، سليمة قلوبهم منقادون، يغلب عليهم اللهو والعبث بالناس، متكرمون طولون[2] دعَّابون، باطنهم الخير وظاهرهم الكبر مأمونو الغاية صداقون ناصحون، يحبون المَحمَدة.

أهل الروم غلاظ متكلفون صلفون، ومنون اشحاء، وفيهم الغفلة فاشية، ويغلب عليهم الهلع وحب جمع المال.

أهل الحجاز أذكياء كرماء، مواسون وفيون فهمون، حفاظ رقاق الأنفس لشجاعته واقدام وفهم وفيهم الزعامة والشبق والتعشق والخيل والخداع بالمنطق وتأنيث الشمائل وحب اللهو والمعارف، وفيهم الغلمة بالنساء والكرم.

[و44ب] أهل العراق غدّارون ماكرون منافقون مشاققون مستهزؤون اشحّاء ممارون مستكبرون، أولو فطنة وذكاء وفهم ودهاء وخديعة وطمع وبخل باستعلاء، وفيهم الشبق وعدم المبالاة، وفي النساء اغتلام شديد يحببن الى النساء.

أهل العجم أذكياء عقلاء أقوياء الأبدان والنفوس، أشحّاء نهمون متكبرون محتقرون لمن سواهم، يحبون الطرب، ويشتهون الأحداث من دون النساء، ونساؤهم جيدات الطبع متحببات إلى الرجال.

---

(1) تناقل القدماء مثل هذه الأقوال في خصائص الشعوب على نحو مرسل، لا يقوم على أساس من تحقيق وعلم، وإنما هي انطباعات فردية، أو شخصية، لبعض من زار مواطنها ، وجرى تعميمها على سائر الشعوب وفي كل العصور، ومن المعلوم أنه لم تكن تتوفر آنذاك أية طريقة علمية أو منهج لدراسة شخصية شعب ما دراسة جادة.

(2) كذا في الأصل، وربما كان: الطوالون، بمعنى المتطاولون والمتكبرون.

أهل باخشان أذكياء فطناء، عصبيون يحبون المحمرة، ويحبون سفك الدم. واما أهل باخشان الأسفل أهل طرب ومعارف وتغزل، والجمال فيهم ظاهر، وسيما كورة خجند واسكندرية فارس، والشُّح فيهم فاش.

أهل الهند الأعلى شجعان، جهلة غفلة غدارون، شبقون خوّانون كذابون، سيئة أخلاقهم، وصبرهم قليل، والنميمة فيهم كثيرة.

أهل الجزرات صالحون، عقلاء حكماء أوفياء، سهل عليهم هلاك أنفسهم بأيديهم.

أهل الصين طيّاشون مُكرة حَسَدة، فطناء أذكياء محاكون، متقنون الصنايع بأيديهم، وفيهم الغدر والنفاق والجبن ظاهر.

أهل تبت والخطا أشبه بأهل الصين، وفيهم الوفاء وحسن المعاملة، وقلَّ أن يكونوا غير مسرورين.

أهل اليمن مُصدِّقون منقادون، ضعاف النفوس، شبقون سليمون الغاية ،وفيهم تحيُل وعجز وغفلة وجبن.

أهل الحبشة أهل غفلة وديانة وامانة ووفاء وحسن محبة ونقص فهم وغلاظة طبع.

أهل النوبة أهل لعب وعبث وطيش وشح وخيانة [و45أ] وسوء خلق وجهالة وخبث وشبق وديانة.

أهل السواحل غالباً أهل أمانة وديانة، ووفاء وذكاء، وشبق ونقص غيرة، وسرعة فهم وبطء حفظ.

أهل الجبال أهل غفلة وغلظة طبع واضطراب حال، وعقول مكارّة.

أهل المغرب أذكياء ذوو فِطَن، أشحّاء سيِّئون في أخلاقهم، متحيِّلون، تهومون طباعهم، غلاظ أشرار.

واهل المشرق أذكياء فطناء ذو همم عالية وأنفس أبيّة وبصائر ثابتة وكبر ومهارات وسياسة، واعتناء بالأمور، وعقول رزينة، وصبّارون بالمكارة.

والحمد لله رب العالمين، الشاكرين دائما أبد الآبدين.

المحتويات

بهجة الإخوان في ذكر الوزير سليمان

محمود بن عثمان الرحبي



نادرشاه

مؤلف هذا الكتاب هو مفتي الحلة محمود بن عثمان الرحبي الذي كان حياً سنة ١٧٦٢ م. ألف كتابه هذا - كما أعلن في مقدمته - ليؤرخ فيه سيرة سليمان باشا والي بغداد المعروف بأبي ليلة، ونوّه بطريقة تبويبه إياه إذ ذكر أنه بدأ أولاً بذكر مناقب هذا الوالي وبعض سيرته ثم عرّج إلى ذكر سيده ومولاه والي بغداد أحمد باشا، ثم تناول مناقب أبي الأخير والي بغداد حسن باشا، ثم أنه توصل بعد ذلك إلى ذكر نبذ من تاريخ الدول السابقة، كل ذلك على سبيل الاختصار، وفي الواقع فإن الكتاب ضم صفحات مهمة من تاريخ العراق في النصف الأول من القرن الثامن عشر، منها الحرب التي خاضها أحمد باشا بن حسن باشا في ايران سنة ١٧٢٤م، والدور الذي أداه جنوده من المماليك والعراقيين هناك، ثم حصار نادرشاه لبغداد سنة ١٧٣٢م، وما أبداه أهلها من ثبات ازاء الحصار على الرغم من الظروف المعاشية القاسية التي فرضت عليهم، ثم ما جرى بعد ذلك انسحاب نادرشاه، ثم مصرعه سنة ١٧٤٧م، ووفاة أحمد باشا، وتولي سليمان باشا ولاية بغداد سنة ١٧٦٢م وهو من ألف من أجله هذا الكتاب.

الغلاف: م. جمال الأبطح

ISBN 978-99933-453-28-2

مكتب التفسير للنشر والإعلان

دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع